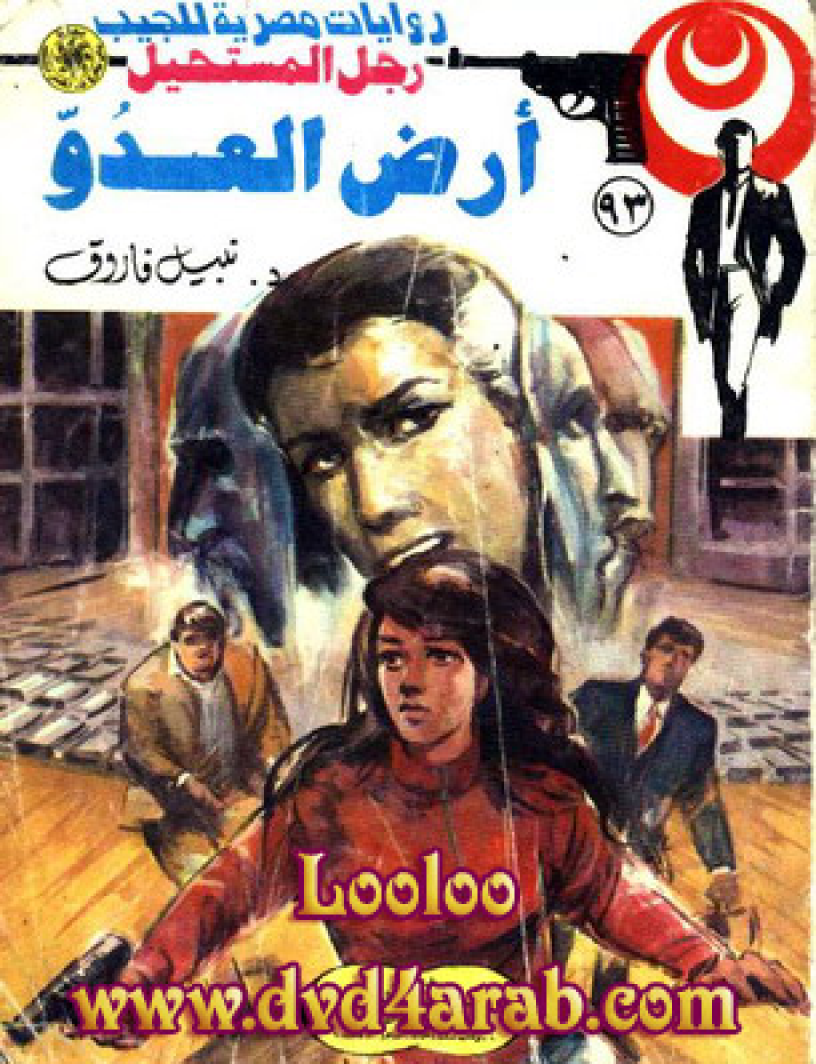

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
أرض العدوّ
٩٣
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - اللقـــاء ..

أشار ضابط الأمن والحراسة، أمام مقر رياسة الجمهورية، إلى السيارة السوداء الكبيرة، التى توقّفت أمام البوّابة، وأبرز سائقها تصريح دخول، طالعه ضابط الأمن فى اهتمام، وألقى نظرة فاحصة على مدير المخابرات العامة المصرية، الذى يجلس صامتًا فى المقعد الخلفى، وأدى التحية العسكرية، وهو يقول فى احترام:

- تفضّل يا سيّدى .. سيادة الرئيس فى انتظارك.

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة والنصف صباحًا، عندما فتح رجال الحراسة الأبواب، أمام سيارة مدير المخابرات، التى عبرت حديقة مقر الرياسة، واتجهت مباشرة إلى حيث مكتب الرئيس، ولم تمض دقائق معدودة، حتى كان مدير المخابرات العامة يقف أمام رئيس الجمهورية، الذى ابتدره قائلًا فى اهتمام:

- ما هذا الذى يحدث فى (إسرائيل)؟.. لقد أعلنوا أنهم ألقوا القبض على أحد ضباط مخابراتنا، وأنهم ينوون محاكمته على نحو علنى، بتهمة التجسّس والتخريب.. ما معلوماتك عن هذا الأمر؟

أجابه مدير المخابرات :

ـ إنها عملية (سيميولاتور) يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

ـ ألم تقل لى إنك لن ترسل أحد رجال مخابراتنا الرسميين ، فى هذه العملية ؟

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا سيادة الرئيس .. إننى لم أرسل أحد رجالنا الرسميين . لقد أرسلت (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى دهشة :

ـ (أدهم صبرى) ؟!.. أليس رجلنا ، الذى فقدناه فى (المكسيك) ، منذ ما يقرب من عامين ؟.. ألم يصلنى تقرير أيامها ، يؤكد مصرعه هناك ؟

بدا شبح ابتسامة على شفتى المدير ، وهو يقول :

ـ لقد فوجئنا بأنه لم يلق مصرعه بالفعل يا سيادة الرئيس ، بل فقد ذاكرته فحسب وتطورت الأحداث بعدها ، على نحو جعله يفضل البقاء بعيدًا عن صفوف المخابرات ، وإن لم يتردد فى العمل لحسابنا أكثر من مرة ، طوال(*) . العام السابق دون أن يعلن عن نفسه ،

(*) راجع قصص (لمسة الشر) ، و (سفير الخطر) ، و (الوجه الخفى) ، المغامرات رقم (٨٥) ، و (٨٨) ، و (٩١) .

ثم رأيت أنا أنه أفضل من يتولى عملية (سيميولاتور) هذه ، على الرغم من أنه خارج الصفوف .

سأله الرئيس :

ـ وكيف أقنعته بهذا ؟

ابتسم المدير وقال :

ـ إقناع (أدهم صبرى) بالعمل من أجل (مصر) ، لا يحتاج إلى أدنى جهد يا سيادة الرئيس .. كل ما فعلته هو أن سافرت إليه فى مزرعته فى (كيواوا) ، وقلت : إن (مصر) تحتاج إليك يا (أدهم) ، وبعدها كنت واثقًا من أنه سيبذل حياته نفسها ، لو اقتضى الأمر ، من أجل (مصر) .

رفع الرئيس حاجبيه فى إعجاب ، وإن لاذ بالصمت التام ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات العامة ، الذى راح يروى كل ما يعرفه عن عملية (سيميولاتور) .. وبكل التفاصيل ..

★ ★ ★

سافر (أدهم) دون تردد إلى (تل أبيب) ، فى محاولة لمنع إسرائيل من الإفادة بالكمبيوتر الجديد ، الذى منحته (أمريكا) إلى (إسرائيل) ، والذى يزيد من قدراتها الدفاعية عشر مرات على الأقل ..

وهناك كانت المفاجأة ..

التقى (أدهم صبرى) بغريمه القديم (موشى دزرائيلى) ، الذى لم يلق مصرعه فعليًا فى (ألمانيا الشرقية) ، وبدأ الصراع بينهما عنيفًا قاسيًا ، وخاضه (أدهم) بكل قوته وخبراته ، ليشتبك مع الإسرائيليين فى معركة تلو الأخرى ، حتى قرر مدير (الموساد) ، هو و(موشى) ، الإطباق على (أدهم) وتدميره تمامًا ..

وبدأت واحدة من أخطر المطاردات، فى حياة (أدهم صبرى) ..

مطاردة فى (تل أبيب) ..

ولكن (أدهم) كان قد أعدّ خطته ..

وفى الوقت الذى تصوّر فيه الجميع ، أن طائرة هليوكوبتر إسرائيلية قد نسفت (أدهم صبرى) نسفًا ، داخل كوخ خشبى، فى قلب (تل أبيب)، كان (أدهم) بمساعدة فريق من الفلسطينيين، وبمعاونة (زياد)، قد أسر الجنرال (بن عازر)، وانتحل شخصيته ..

وبعيدًا عن كل هذا ، كانت (سونيا جراهام) تبدأ حياة أخرى فى أمريكا ، وهى تحمل إسم (جوان آرثر) ، وتمتلك شركة الإليكترونيات الكبرى فى (نيويورك) ، وإن اختفت

خلف (تونى بورسالينو) ، صاحب الشركة الصورى، وراحت تبذل جهدها وثروتها ، فى سبيل إنشاء واحدة من أكبر المنظمات الخاصة للجاسوسية، تضارع منظمة (سكوربيون) ، التى حطمها (أدهم) من قبل ..

وبمعاونة رجل العصابات الأمريكى (أكشن مايكل)، راحت (سونيا) تصنع إمبراطوريتها الجديدة ..

وفى البداية ، حطمت (سونيا) مزرعة (أدهم) فى (كيواوا)، ثم خدعت شقيقه الدكتور (أحمد صبرى)، وأقنعته بالعمل لحسابها ، دون أن يدرك أنه يعمل لحساب (سونيا جراهام)، عدوة شقيقه اللدود ....

ومن ناحية أخرى ، لم يقتنع (موشى دزرائيلى) بمصرع (أدهم صبرى)، فاستشار الكمبيوتر الجديد (سيميولاتور)، الذى كشف خدعة (أدهم)، وجعل (موشى) يباغته، عندما كان (أدهم) ينتحل شخصية العقيد (أورلوف) .. المشرف على (سيميولاتور) ..

ومرة أخرى هرب (أدهم)، بمساعدة رفاقه الفلسطينيين ..

ولكن (زياد) وقع فى أيدى الإسرائليين ..

وقرّر (أدهم) إنقاذ (زياد)، من قلب مبنى (الموساد) ..

وكان (موشى) يتوقع هذا ..

وعلى الرغم من الخطة المتقنة ، التى وضعها (أدهم) ، والتى ساعدته على دخول مبنى (الموساد) ، والوصول إلى (زياد) ، متجاوزًا كل الحواجز والعقبات ، إلا أن (موشى) نجح فى خطته ، وأوقع بـ (أدهم) ..

وصار رجل المستحيل أسيرًا ..

فى أرض العدو(*) ..

* * *

استمع رئيس الجمهورية إلى حديث مدير المخابرات حتى النهاية ، دون أن يقاطعه بتساؤل واحد ، ثم هزّ رأسه مغمغمًا :

ـ يا للأسف !.. من الخسارة أن يقع رجل مثل هذا فى قبضة الإسرائيليين .

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

ـ ربما تظننى مسرفًا فى التفاؤل ياسيدى الرئيس ، ولكننى لاأظن أن (أدهم) سيظل فى قبضتهم طويلًا .

رمقه الرئيس بنظرة فاحصة طويلة ، قبل أن يقول :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع قصتى (الوجه الخفى) ، و (الخطر) ، الجزءين الأول والثانى ، رقمى (٩١) و(٩٢) .

ـ لا .. لن أظن أنك كذلك ، فأنا أيضًا كنت شديد التفاؤل ، عندما كنت قائدًا لسلاح الطيران .

ثم مال نحو المدير ، وسأله :

ـ والآن .. هل تقترح أن نتجاهل الإسرائيليين ، أم نواجه حملتهم الدعائية المتشفية ؟

أجابه المدير فى حذر :

ـ الواقع أن اختيارى لـ (أدهم صبرى) بالذات ، بعد انسحابه من صفوف المخابرات العامة ، يجعل باستطاعتنا التنصّل من الأمر كله .

ابتسم الرئيس ، قائلًا :

ـ هل تقترح هذا ؟

أجاب المدير فى سرعة :

ـ كلا .. لست أقترحه ، ولكننى أقول إنه ممكن .

صمت الرئيس لحظات ، ثم قال :

ـ حتى لو فعلنا ، لن يصدق الإسرائيليون هذا .. وحتى لو صدقوه ، فسيصرون على العكس ، ثم أنه من العار أن نتنصّل من رجل ، يبذل نفسه فى سبيل (مصر) .

ابتسم المدير فى ارتياح ، وقال :

ـ هذا ما كنت أتوقعه منك ياسيادة الرئيس .

هزّ الرئيس رأسه فى هدوء ، وقال :

- لا .. إنك لم تر بعد مالم تتوقعه .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، الذى يصله بمدير مكتبه ، وقال له :

- احضر على الفور .

حضر مدير مكتبه بعد دقيقة واحدة ، فالتفت إليه الرئيس ، وقال :

- سأوقع بعد قليل قرارين بشأن المخابرات العامة .. أريد منك أن تعدهما على الفور .. القرار الأول بإعادة (أدهم صبرى) إلى صفوف المخابرات العامة ، والثانى بترقيته إلى رتبة العقيد .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات العامة فى سعادة ، فى حين التفت إليه رئيس الجمهورية ، مستطردًا فى حزم :

- (مصر) لاتدير ظهرها أبدًا للمخلصين من أبنائها .

هتف مدير المخابرات :

- وهذا ما يتوقعه منها هؤلاء الأبناء ياسيدى الرئيس .

عاد الرئيس بمقعده إلى الوراء ، وسأله :

- والآن ماذا عن عملية (سيميولاتور) ؟.. هل سنتوقف ، أم نواصل العمل فيها ؟

قال المدير فى حماس :

- لن نتوقف أبدًا ياسيادة الرئيس .

سأله الرئيس فى اهتمام :

- إلى من ستسندها .

اعتدل المدير وأجاب :

- إلى فريق من رجال الإدارة ياسيادة الرئيس .. فريق من نوع خاص .وكان يعنى ما يقول ..

إنه فريق من نوع خاص ..

خاص جدًا .

* * *



٢ ـ الفـــريق ..

توقَّف (موشى دزرانيلى) أمام الباب الإليكترونى لقبو مبنى (الموساد) . فى (تل أبيب) ، وأخرج بطاقته المغنطيسية الخاصة ، وهو يسأل حارس القبو :

ـ كيف تسير الأمور ؟

أجابه الحارس فى بساطة :

ـ على خير مايرام .. إنه لم يبد أية مقاومة ، منذ استعاد وعيه .

التقى حاجبا (موشى) فى دهشة ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !!

قالها ودسَّ البطاقة المغنطيسية فى المكان المخصص لها ، ثم ألصق إبهامه بجهاز خاص ، قارن بصمة إصبعه بالبصمات المسجَّلة لديه ، وبعدها انفتح الباب الإليكترونى فى هدوء ، فسحب (موشى) البطاقة ، ودسَّها فى جيبه ، وعبر باب القبو ، وتركه يغلق خلفه ، ثم وقف عاقدًا كفيه أمامه ، يتطلَّع إلى (أدهم) ، الذى بدا هادئاً مسترخيًا ، راقدًا على سرير صغير داخل زنزانته ، وهو يقول فى سخرية :

ـ يا إلهى !.. هل ستبدأ وسائل التعذيب ؟

سأله (موشى) فى برود :

ـ أى تعذيب ؟

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ إننى أرى وجوهكم البغيضة كل ساعة .. أليس هذا تعذيبًا كافيًا ؟.. أرجوكم ..

انزعوا أظفارى ، اخلعوا أسنانى ، ولكن لاتجعلونى أشاهد وجوهكم .. هذا يصيبنى بالاشمئزاز .

صمت (موشى) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أنك تتمتع بروح معنوية عالية ، على الرغم من كل شىء .

لوَّح (أدهم) بكفه ، هاتفًا :

ـ إنها قاعدة قديمة ياصديقى .. لاتجعل عدوك يفرح بانتصاره أبدًا .. اسخر منه فى أحلك اللحظات .

قالها وهبَّ فجأة من فراشه ، فتراجع (موشى) بحركة حادة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، عندما أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ أرأيت يا رجل .. هأنتذا ترتجف منى ، على الرغم من أننى أنا الأسير لا أنت .

قال (موشى) بشىء من الحدة :

ـ ألا يمكنك أن تدرك حقيقة وضعك جيدًا ؟

عاد (أدهم) إلى فراشه ، وهو يقول فى استهتار :

ـ أى وضع ؟

استعاد (موشى) بروده ، وقال :

ـ إنك فى قبضتنا ، وبين أيدينا ، وستجرى لك محاكمة علنية ، تفضح دولتك أمام العالم كله ، وتكشف مخالفتها لاتفاقية السلام ، ومحاولتها تدمير تفوقنا العسكرى .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ يا إلهى !.. لاتستطرد يارجل .. قلبى سيتوقف من فرط الخوف .. ولكن عجبًا !.. ألم ترسلوا أنتم عدة جواسيس ، للحصول على أسرار الولايات المتحدة الأمريكية ، التى هى فى الواقع أمكم الحنون(*) ؟!

غمغم (موشى) :

ـ الأمر يختلف .

هتف (أدهم) ضاحكًا :

ـ بالتأكيد ، فنحن شرفاء .

انعقد حاجبا (موشى) ، وقد أدرك المعنى الذى يقصده (أدهم) ، وقال فى صرامة :

ـ أظن موقفك سيتغير كثيرًا فى أثناء المحاكمة :

رفع (أدهم) أحد حاجبيه فى سخرية ، وهو يقول :

(*) حقيقة .

ـ أما أنا فلست أظن هذا ، إذ ليس فى نيتى حضور المحاكمة .

ازداد انعقاد حاجبى (موشى) ، وهو يقول :

ـ تفاؤلك تجاوز الحدود هذه المرة يا (أدهم) .. إنك لن تفرّ من هنا قط ، فهذه الزنزانة من طراز خاص ؛ إذ أنها مزوّدة بأجهزة تصنّت بالغة الحساسية ، يمكنها أن تنقل دبيب النملة ، وهناك آلتا تصوير فيديو تراقبانك ، طيلة الأربع والعشرين ساعة ، ولا يوجد مخرج للقبو سوى هذا الباب ، ولقد رأيت بنفسك الإجراءات المتبعة للدخول ، فما بالك بالخروج ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة استفزازية طويلة ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن ذاكرتك تحتاج إلى علاج منشّط يا عزيزى (موشى) .. أنسيت أننى نجحت من قبل ، فى تجاوز كل هذه الإجراءات ؟!

قال (موشى) فى غلظة :

ـ بإرادتنا يا (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ـ هل تقسم على هذا ؟

التقى حاجبا (موشى) لحظة فى غضب ، إلا أنه لم يلبث أن استعاد بروده بسرعة ، وهو يقول :



قال (موشى) فى غلظة :

ـ بإرادتنا يا (أدهم) ..

ـ فليكن يا (أدهم) .. يمكنك أن تحاول على الأقل .

ثم استدار ، وغادر الزنزانة والقبو كله ، وأغلق بابه خلفه ، و (أدهم) يهز كتفيه فى استهتار ، ويتطلع الى إحدى آلات التصوير التى تراقبه ، قائلاً فى سخرية :

ـ ما رأيك أيها المراقب؟.. هل أصلح لدور البطولة ؟

وأعقب قوله بضحكة ساخرة طويله ، نجح فى أن يخفى بها ذلك القلق الذى يعصف بأعماقه ..

لقد كان (موشى) على حق ..

يمكنه أن يحاول ..

ولكن ماذا عن النتائج ؟..

★ ★ ★

لم يكد مدير المخابرات العامة يعود إلى مكتبه ، حتى استدعى مدير المكتب ، وقال فى انفعال واضح ، يشف عن اهتمامه البالغ ، وخطورة ما يطلبه :

ـ أريد استقبال (منى توفيق) و (حسام حمدى) فى مكتبى على الفور .

تردد مدير مكتبه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ الواقع ياسيدى أنه لن يمكننى هذا ؟

سأله فى حدة :

ـ ولماذا لايمكنك هذا ؟

ترّدد الرجل مرة أخرى ، وأجاب :

- إنهما ليسا هنا .

صاح المدير فى عصبية :

- وماذا فى هذا ؟.. أرسل من يحضر كلا منهما من منزله على الفور .

تنحنح الرجل فى حرج ، وقال :

- لن يكون هذا ممكنًا ياسيّدى ، فقد سافرا .

هتف المدير :

- سافرا ؟!.. إلى أين ؟

أجاب الرجل فى سرعة ، وكأنه يلقى عن كاهله حملًا ثقيلًا :

- إلى (تل أبيب) .. قالا إنهما سيذهبان لمعاونة (أدهم صبرى) ، مهما كلفهما هذا .

ظلّ المدير يحدّق فى وجهه لحظة بدهشة ، ثم قال :

- ولكن كيف ؟!.. أليس من المحتم أن يحصلا على تصريح من الإدارة ؟

تنحنح الرجل مرة أخرى فى حرج ، قبل أن يجيب :

- من الواضح أنهما يحملان تصريحًا مزيّفًا ، فالسيد (قدرى) يصحبهما فى هذه الرحلة .. إنها مجرّد فكرة ، دون دليل أو حتى قرينة .

هتف مدير المخابرات :

- (قدرى) يصحبهما ؟!

صمت لحظة ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكًا ، على نحو أدهش مدير مكتبه ، وقال :

- ياله من فريق !.. جوازات سفر زائفة ، وتصاريح مزوّرة ، وحماس بلا حدود ، ووفاء نادر للصداقة والزمالة .. يا إلهى !.. من حسن الحظ أنهم يعملون لحسابنا ، وليس ضدنا ..

قال مدير مكتبه فى دهشة :

- سيّدى .. هل ..

قاطعه المدير فى حزم :

- لقد فعلوا ما أردت استدعاءهم من أجله يارجل ، فلا داعى لإدخال الأمر فى تعقيدات لالزوم لها .

ثم تنهّد فى عمق ، واستطرد :

- المهم أن يثمر سفرهم هذا الكثير ، فمهمة هذا الفريق شديدة الصعوبة يارجل .. شديدة الصعوبة إلى حد كبير ، أو بمعنى أدق هى مهمة مستحيلة ..

- مستحيلة تمامًا !

* * *

خفق قلب (منى) فى قوة ، عندما هبطت بها طائرة الخطوط الفرنسية ، فى مطار (تل أبيب) ، وازدردت لعابها أكثر من مرة ، وهى تتقدم نحو ضابط الجوازات الإسرائيلى ، وتناوله جواز سفرها المزوّر بإتقان ، والذى يحمل الشعار الفرنسى ، وعلى العكس منها ، بدا الضابط هادئا وهو يسألها :

- مدموازيل (برجيت مارلو) .. أهى أول زيارة لدولة (إسرائيل) ؟

ابتسمت (منى) قائلة :

- نعم .. لقد أردت رؤية ما تطلقون عليه اسم (أرض الميعاد) .

بادلها الضابط الابتسامه ، وهو يختم جواز السفر ، ويعيده إليها ، قائلا :

- سترين أنها بالفعل أرض الميعاد يامدموازيل (برجيت) .. أتمنى لك إقامة طيبة فى (إسرائيل).

لم تشأ مناقشته فى هذا الأمر ، بل استعادت جواز سفرها وأسرعت تغادر المطار بحقيبتها الواحدة ، ثم اتجهت مباشرة إلى فندق قريب من المطار ، وراحت تنتظر قدوم زميليها (حسام) و (قدرى) ..

كان الثلاثة قد اتخذوا ثلاثة مسارات مختلفة ، طبقا

للخطة المتفق عليها ، بحيث سافرت (منى) إلى (باريس) أوّلا ، ومنها إلى (تل أبيب) ، تحت اسم الفرنسية (برجيت مارلو) ، واتجه (حسام) إلى (روما) ، باسم (باولو جيوفانى) ، ومنها إلى (تل أبيب) ، أما (قدرى) ، فسيصل على طائرة الخطوط البريطانية ، منتحلا اسم البريطانى (إدوارد جيو) ..

والمفروض أن يلتقى الثلاثة هناك ..

فى (تل أبيب) ..

وفى هذا الفندق بالذات ..

وكان عليها أن تنتظر قدومهما ..

ولم تضع الوقت عبثا ..

لقد التقطت حقيبتها الصغيرة ، وفتحتها ، وراحت تجمع بعض أجزاء أدوات التجميل منها ، وتربط بعضها بالبعض ، فى حنكة وسرعة ومهارة ، حتى صار لديها واحد من تلك المسدسات ، المصنوعة من البلاستيك ، والتى تعجز أجهزة كشف الأسلحة عن التوصل إليها ، وبسرعة أضافت إليها خزانة تحوى عشر رصاصات ، وهى تغمغم :

- هذا هو سلاحك الوحيد يا (منى) .. مسدس وعشر رصاصات ،فاحرصى عليها جيدًا .

لم تكد تنطق العبارة ، حتى سمعت طرقًا هادئا على باب حجرتها ..

ثلاث طرقات ، ثم طرقة واحدة ، بعد فترة من الصمت ..

وبسرعة ، فتحت (منى) الباب ، ورأت أمامها (قدرى) ، الذى حرّك كفيه أمامها بحركات متقنة ، من تلك التى يستخدمها البكم عادة ، فابتسمت قائلة :

ـ معذرة أيها البريطانى .. لست أجيد لغة الإشارات هذه .

دلف إلى حجرتها بسرعة ، وأغلق الباب خلفه ، ثم لهث وهو يقول :

ـ عجبًا !.. إننى أستخدمها مع الجميع ، فأنا لا أجيد التحدث بالانجليزية مثلكم ، ولكننى ستكشف أمرى حتمًا ، لذا فمن الأفضل التظاهر بأننى أبكم .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، ثم عادت إلى حقيبتها ، وهى تسأله :

ـ ألديك أخبار عن (حسام) ؟

أجابها بسرعة :

ـ سيصل من (روما) بعد ساعة واحدة .

تنهدت قائلة :

ـ سنبدأ العمل فور وصوله .. أليس كذلك ؟

قال فى خفوت :

ـ أتمنى هذا .

التقطت بعض أدوات التجميل من حقيبتها ، وراحت تخرجها فى حرص ، وهى تقول :

ـ أتعشم أن يفيد وجودنا (أدهم) .

أجابها (قدرى) :

ـ سيفيده بالتأكيد ، لو أننا لم نتصرف على نحو عشوائى .

عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟!.. صحيح أننا لم نعدّ خطتنا بعد ، ولكن هذا لايعنى أننا سنتحرك على نحو عشوائى .. بمجرد وصول (حسام) سنضع خطة متكاملة ، و ..

قاطعها فى بساطة :

ـ ليس هذا ما أعنيه .

سألته فى اهتمام :

ـ ما الذى تعنيه إذن ؟

اعتدل يجيب :

ـ أعنى أن من المحتم أن يكون هناك قائد .. يضع خطته ، ويرسم أسلوب التنفيذ ، بحيث تكون خطواتنا كلها مدروسة ، ويقل احتمال الخطأ إلى أدنى درجة .

سألته فى حذر :

ـ ومن القائد الذى تقترحه !.. (حسام) ؟

هز رأسه نفيا ، وأجاب :
ـ كلا .. ليس هو .
سألت فى دهشة :
ـ من إذن ؟
أتاها صوت يقول فى حزم :
ـ أنا أعرف من .
التفتا فى دهشة إلى مصدر الصوت ، وهتفت (منى) :
ـ (حسام) ؟!.. كيف وصلت الآن ؟.. أليس من المفروض أن تصل طائرتك من (روما) ، بعد ساعة من الآن ؟
أجاب (حسام) ، وهو يغلق باب الحجرة خلفه :
ـ إننى لم أسافر إلى(روما)
قال (قدرى) :
ـ لم تأت من (روما) ؟!.. كيف وصلت إلى هنا إذن ؟
أخرج (حسام) جواز سفر آخر ، وهو يقول :
ـ بالطريق الرسمى ، ولكن باستخدام جواز سفر آخر يا عزيزى (قدرى) .. جواز سفر مصرى ، يحمل اسم (حسن عبد الرحمن) المحامى ، الذى هرع إلى هنا للدفاع عن مواطنه (أدهم صبرى) .. والطريف أنهم ، فى السفارة الإسرائيلية ، لم يمانعوا قط ، لقد منحونى تأشيرة دخول رسمية على الفور .

هتف (قدرى) :
ـ يالها من فكرة !.. ولماذا فعلت هذا ؟
هتفت (منى) بدورها :
ـ نعم يا (حسام) .. لماذا فعلت هذا ؟
أجابهما فى حسم :
ـ لأن فكرتك نفسها جالت بخاطرى يا (قدرى) ، وأدركت من ينبغى أن يكون القائد ، فى عمليتنا هذه .
سألته (منى) فى لهفة :
ـ من يا (حسام) ؟
التفت إليها لحظة فى صمت ، ثم أجاب فى حزم :
ـ (أدهم) يا (منى) .. (أدهم صبرى) نفسه .
وكانت المفاجأة !..

★ ★ ★



٣ ـ فى قلب الهدف ..

أطلق (تونى بورسالينو) زفرة قوية ، من أعماق صدره ، وهو يلوّح بيده فى وجه (سونيا جراهام) ، قائلًا :

ـ كانت رحلة مرهقة للغاية ، ولكنها ناجحة .. (ليوداپان) قام بكل ما طلبته .

أجابته فى برود ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـ أعلم هذا .. لقد أبلغنى هاتفيًا .

حدّق (تونى) فى وجهها بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ أبلغك هاتفيًا ؟!.. لماذا كانت هذه الرحلة المرهقة إذن ؟

انعقد حاجباها فى صرامة بالغة ، وهى تقول :

ـ لاشأن لك بهذا .. ستطيع الأوامر فحسب ، ودون مناقشة أو اعتراض ، هل تفهم ؟

انكمش أمام صرامتها البالغة ، وتمتم :

ـ إنه مجرّد تساؤل ياسيدتى .

سحبت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وتسأله فى حزم :

ـ ما آخر أخبار الدكتور (أحمد صبرى) ؟

أجابها بسرعة ، وكأنما يحاول استعادة ودّها :

ـ كل شىء يسير على مايرام .. لقد أنشأنا له واحدًا من أفضل معامل العصر ، وزودناه بأحدث الأجهزة الطبية والتكنولوجية ، وهو يقيم الآن فى البناية التى تمتلكينها ، وتوجد أجهزة تصنّت فى كل حجرة من حجراته ، ومن الواضح أن تواجده هنا يسعده للغاية ، فقد أرسل استقالته إلى جهة عمله السابقة ، وسيوقّع عقد العمل معنا صباح الغد .

بدت جامدة باردة ، وهى تقول :

ـ عظيم .

حاول إرضاءها أكثر ، فاستطرد :

ـ يمكننا مماطلته ، حتى يـ ...

قاطعته فى صرامة :

ـ مماطلته ؟!.. ومن أخبرك أننى أرغب فى هذا .

عاد ينكمش مغمغمًا :

ـ معذرة ياسيدتى .. لقد تصوّرت الأمر مجرّد ..

قاطعته مرة أخرى :

ـ إننى ـ على العكس ـ أريد منه أن يشعر بمنتهى الارتياح هنا .. إلى الحد الذى يجعله متشبثًا بالعمل معنا ، وسنحاول الاستفادة من أبحاثه إلى أقصى درجة ، وعندما

تحين اللحظة المناسبة ، سأصنع منـه مخلب قط ، لاقتناص الفريسة الأصلية .

ترَدّد لحظة ، قبل أن يسألها :

ـ وما هي الفريسة الأصلية ؟

ابتسمت قائلة :

ـ بل قل : من هو .

هتف في دهشة :

ـ من هو ؟!.. أكل هذا من أجل رجل واحد ؟!

أجابته شاردة :

ـ نعم يا (تونى) .. كل هذا من أجل رجل واحد .. رجل تحيط به الآن أصابع ألدّ أعدائه ، ولكنني واثقة من أن هذا الأمر لن يستمرّ طويلًا .

ولكنها في الواقع لم تكن واثقة كما تدّعى .. لم تكن واثقة أبدًا ..

★ ★ ★

أدّى أحد رجال المخابـرات الإسرائيليـة التحيـة العسكرية ، أمام (موشى دزرائيلى) ، ومدّ يده إليه بواحدة من اسطوانات الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ بيانات إدارة الجوازات ياسيدى .

التقطها منه (موشى) في هدوء ، واتجه بها إلى جهاز الكمبيوتر ، الموضوع فوق مكتبه ، فابتسم زميله (إفرام) في سخرية ، وهو يقول :

ـ أمازلت تصرّ على أن تصل إليك البيانات يدًا بيد ، ويومًا بيوم ؟!.. لماذا لاتستخدم الخط المباشر ، الذي يصل أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالإدارة ، بأجهزة كمبيوتر المطار ، والجوازات ، والأمن ، وغيرها ؟

أجابه (موشى) في برود ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، ويدسّ اسطوانته في التجويف الخاص بها :

ـ هذا الأسلوب أكثر أمنًا ، فأي طالب كمبيوتر ذكي ، يمكنه وضع برنامج تجسّس ، لحل شفرة الاتصال والحصول على كل مالدينا من معلومات ، مهما تصوّرنا أن نظامنا الأمني محكم للغاية .

أطلق (إفرام) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ ماذا أصابك يارجل ؟.. لقد صرت مسرفًا في الحذر ، على نحو لم نعهده بك من قبل .

رمقه (موشى) بنظرة باردة ، وقال بصوت كالثلج :

ـ الأمور الآن تختلف ، فنحن نحتجز بأسفل واحد من أخطر رجال المخابرات ، الذين عرفهم العصر ، ومن المحتـم أن المصرييـن سيبذلـون قصارى جهدهم لاستعادته .

هزّ (إفرام) كتفيه ، وقال :
ـ إنهم حتى لم يدلوا بأى تصريح أو تعليق ، وكأنهم ينكرون ويستنكرون الموقف كله .
مطّ (موشى) شفتيه ، وقال :
ـ المحاكمة العلنية ستفضحهم .
ثم ضغط زر تشغيل الكمبيوتر ، ولم تكد المعلومات تظهر على الشاشة ، حتى دلف أحد الجنود إلى المكتب ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :
ـ هناك محام مصرى ، يطلب مقابلة الأسير ياسيدى .
التقى حاجبا (موشى) فى شدة ، وهو يسأله :
ـ ما اسمه ؟
أجابه الجندى على الفور :
ـ (حسن عبد الرحمن) .
ضغط (موشى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وطالع الاسم على شاشة الكمبيوتر ، ثم حك ذقنه بيده ، وغمغم :
ـ نعم .. لقد حصل على تأشيرة دخول إلى (إسرائيل) صباح اليوم .
وصمت لحظة أخرى ، ثم نهض مستطرداً :
ـ فليكن .. سألتقى به .
اتجه مباشرة إلى حجرة الاستقبال الخاصة ، فى الطابق


ضغط (موشى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وطالع الاسم على شاشة الكمبيوتر ..

الأرضي للمبنى ، وهناك نهض (حسام) لمصافحته ، وهو يقول فى هدوء :

ـ (حسن عبد الرحمن) ، محامى مصرى ، حضرت من (القاهرة) خصيصًا ، للدفاع عن المواطن المصرى (أدهم صبرى) ، الذى تتهمونه زورًا بالتجسس .

مد (موشى) يده إليه ، وقال فى برود :

ـ أوراقك ياسيد (حسن) .

ناوله (حسام) جواز السفر ، الذى يحمل اسم (حسن عبد الرحمن) ، وهو يقول فى حزم :

ـ هل تعرفون أنكم تتجاوزون الحدود القانونية ، باحتجاز موكلى فى مقركم ، دون وجه حق ؟ وأنكم ...

قاطعه (موشى) :

ـ هل تعلم ما الذى نفعله ، مع من يدخلون إلى إسرائيل بجوازات سفر مزوَّرة ؟

أجابه (حسام) فى برود ينافس بروده :

ـ كلا .. أخبرنى أنت .. هل تلفقون لهم تهمة التجسس أيضًا ؟

قال (موشى) :

ـ قليلًا ما نفعل ، إذ أننا فى المعتاد نتخلص منهم مباشرة ، توفيرًا لنفقات المحاكمة .

مط (حسام) شفتيه ، وقال :

ـ إجراء غير قانونى ، ولكنه ليس مستغربًا ، بالنسبة لشعب كشعبك .

التقى حاجبا (موشى) لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ سنختبر هذا الجواز بوسائلنا الخاصة .

أطلق (حسام) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ يالها من فكرة سخيفة !.. إنه جواز سفر مصرى يارجل ، وحتى لو كنت أنا رجل مخابرات كما تتصوَّر ، فستجد الجواز سليمًا تمامًا .

بدت الفكرة منطقية بالنسبة لـ (موشى) ، فأعاد إليه جواز السفر ، وهو يسأله :

ـ ماذا تطلب بالضبط ياسيد (حسن) ؟

أجابه (حسام) فى صرامة :

ـ أريد مقابلة مواطنى .. أظن هذا من حقى رسميًا .

قال (موشى) :

ـ هل تتصوَّر أن كونه رسميًا يعنى قدرتك على فعله ؟

قال (حسام) :

ـ إنها محاكمة علنية ، وهذا يعنى أن كل الحقوق مكفولة .

صمت (موشى) لحظة ، ثم قال :

- فليكن .. سنلتقى به .

قالها وانصرف ، وهو يضمر فى نفسه أمرًا ما .. أو شرًا ما ..

★ ★ ★

اعتدل (أدهم) جالسًا ، على طرف فراشه الصغير ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، لم تلبث أن ذابت فى أعماقه ، وهو يتطلع الى (حسام) ، الذى وقف داخل زنزانته ، يمد يده إليه ، قائلًا :

- (حسن عبد الرحمن) المحامى .. حضرت خصيصًا من (القاهرة) ، للدفاع عنك .

كان تنكر (حسام) متقنًا إلى حدما ، إلا أن (أدهم) عرفه على الفور ، وصافحه فى هدوء ، قائلًا ببساطة متناهية :

- شعور وطنى تستحق الشكر عليه يا أستاذ (حسن) .

ثم عاد يجلس على طرف فراشه ، ونطق عبارة ما ..

عبارة لم يفهم منها (موشى) ، أو الرجال الذين يراقبون هذا اللقاء ، عبر أجهزة المراقبة والتصنت ، حرفًا واحدًا ، فهتف أحدهم :

- أية لغة هذه ؟

عقد (موشى) حاجبيه ، وهو يقول فى غيظ وضيق :

- لايمكننى تمييزها .

وكان هذا يحنقه فى شدة ، إذ أنه يجيد ست لغات حية ، وبإجادة تامة ، ولكنه لم يفهم بالفعل حرفًا واحدًا ، من تلك اللغة التى يتحدث بها (أدهم) و (حسام) :

صحيح أنها ، فى بعض كلماتها ، قد تشبه الألمانية ، أو الأسبانية ، أو العبرية .. أو حتى العربية ، ولكن حتى ترتيب هذه الكلمات يبدو مبهمًا ، ولايعنى شيئًا محدودًا ..

وفى توتر ، يندر أن يكشف عنه ، قال (موشى) :

- سجلوا كل كلمة إذن ، وسنرسل حديثهما كله إلى خبير لغات .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى صرامة :

- ولكن هذا الحوار وهذه اللغة ، كشفا أمر هذا المحامى الزائف .. إنه رجل مخابرات مصرى .

لم يكن يدرك لحظتها أن تلك اللغة ، التى يتحدث بها (حسام) و (أدهم) ، هى أيضًا لغة مخابرات مصرية ..

لغة ابتكرتها المخابرات المصرية ، ولقنتها لرجالها ، بحيث لايفهمها أو يدركها سواهم ..

لغة هى بالفعل مزيج من الألمانية ، والأسبانية ، والعبرية ، والروسية ، واليابانية .. وفى هذه اللغة تحمل كل كلمة معنى آخر ، ومغزى خاصًا ، يختلف عن معناها ومغزاها فى لغتها الأصلية ..

وبهذه اللغة الخاصة ، كان (أدهم) يسأل (حسام) :

- هل أتيت وحدك ؟

أجابه (حسام) :

- بل معى (منى) و (قدرى).

بدا القلق على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

- (منى) و (قدرى) هنا ؟!.. هذا يعرّضهما للخطر .

ابتسم (حسام) ، وقال :

- لاتقلق عليهما .. إنهما ضمن جهاز المخابرات المصرى .. أليس كذلك ؟

صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

- بلى .. هذا صحيح .

ثم نهض من مكانه ، واتجه إلى أحد أركان الزنزانة ، وسأل :

- ألديكم خطة محدودة ؟

هزّ (حسام) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلا .. لقد قررنا أن نترك لك هذه المهمة ، وسننفذ كل ما تأمرنا به .

ابتسم (أدهم) فى صمت ، وهو يتطلّع إليه ، ثم غمغم :

- أتظنون أننى أستطيع وضع خطة للفرار من هنا ؟

أجابه فى حسم وحماس :

- بالتأكيد ..

ثم أردف فى اهتمام :

- ولكن لدى فكرة ما .

سأله (أدهم) ، وهو يعود إلى موضعه :

- ما هى بالضبط ؟

اعتدل (حسام) ، وقال فى حماس :

- هل قرأت روايات (أرسين لوبين) فى صباك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- بالطبع .. كان هذا جزءًا من التدريبات ، التى لقننى إياها والدى .

قال (حسام) :

- عظيم .. فى واحدة من هذه الروايات ، تم إلقاء القبض على (لوبين) ، ولكنه انتحل فى السجن شخصية رجل آخر ، وخدع الجميع ، ونجح فى الفرار .

ضحك (أدهم) ، وقال :

- وكان هذا فيما مضى ياصديقى ، قبل استخدام البصمات والتكنولوجيا ، ووسائل كشف الشخصية الحديثة .

ثم صمت لحظات ، وشرد ببصره قليلًا ، قبل أن يضيف بابتسامة غامضة :

ـ ولكن الفكرة نفسها تشحذ الخيال بشدة .

وعاد إلى صمته طويلًا هذه المرة ، دون أن يقاطعه (حسام) لحظة واحدة ..

كان يعلم أن الخطة قد نبتت فى عقل (أدهم) ، وأنها تختمر الآن ..

وطال صمت (أدهم) ..

طال لخمس دقائق كاملة ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة أكثر غموضًا ، وهو يقول :

ـ (حسام) .. اسمعنى جيدًا .

هبّ (حسام) ، قائلًا :

ـ أنا رهن إشارتك .

وهنا بدأ (أدهم) يلقى خطته على مسامعه ..

وكانت خطة مدهشة ..

مدهشة بكل معنى الكلمة :

* * *

« لماذا لم تحتجزه ؟.. » .

هتف (إفرام) بالعبارة فى غضب ، ولكن (موشى) احتفظ ببروده التقليدى ، وهو يجلس أمام الكمبيوتر ، ويجيب :

ـ لم يكن هذا ممكنًا ، فأوراقه كلها سليمة ، وتأشيرة دخوله لاغبار عليها ، واحتجازه سيصنع مشكلة كبيرة .

صاح (إفرام) :

ـ ولكننا نعلم أنه رجل مخابرات .

قال (موشى) فى برود أشد :

ـ قل هذا للمدير ، فهو الذى أصرّ على تركه يرحل ، وأرسل خلفه من يراقبه .

سأله (إفرام) :

ـ هل عرفتم أين يقيم ؟

أومأ (موشى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. ورجالنا يضعون أجهزة التصنت والمراقبة الآن .

هتف (إفرام) :

ـ أسلوب سخيف .. لو أننى فى مكانكم ..

هبّ (موشى) من مقعده فجأة ، ودفع (إفرام) فى قسوة ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، وأخرج مسدسه ، وألصقه بجبهته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اسمع ياهذا .. أكثر ما أكرهه فى حياتى هو العمل المكتبى ، ولكن الظروف تحتم علىّ القيام به لبعض الوقت ، فلاتضاعف من توترى ، بثرثرتك السخيفة هذه ، وإلا أصبح من المحتم أن أنتزع لسانك هذا .. هل تفهم ؟

رمقه (إفرام) بنظرة غاضبة ، ثم دفع المسدس بعيدًا ،

واندفع مغادرًا الحجرة ، فأعاد (موشى) مسدسه إلى جيبه ، وعاد فى هدوء إلى مكتبه ، وأشعل جهاز الكمبيوتر مرة ثانية ، وراح يراجع المعلومات الواردة من إدارة الجوازات ..

وفجأة ، استوقفه اسمان : (برجيت مارلو) ، و (إدوارد جير) ..

كان صاحبا الاسمين قد وصلا إلى (إسرائيل) هذا الصباح ، ولكنهما لم يحصلا على تأشيرة دخول من سفارتنا فى دولتيهما ، أو من أية سفارة فى دولة أخرى ..

ولدقيقة كاملة ، راح (موشى) يتفرّس فى ملامح (برجيت) و (إدوارد) ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يتمتم :

- (منى) و (قدرى) .. هذا ما كنت أتوقعه ، منذ وقوع (أدهم) فى قبضتنا .

هؤلاء المصريون عاطفيون للغاية .

ثم أغلق جهاز الكمبيوتر ، ونهض يلتقط مسدسه من جيبه ، وجذب مشطه فى قوة ، وتركه يرتد برنينه المعدنى ، قبل أن يقول :

- من الواضح أن الحلقة تضيق بالتدريج ، ولن نلبث أن نلقى القبض على الفريق كله .

وأعاد مسدسه إلى جيبه ، مضيفًا فى حزم :

- وبضربة واحدة .

* * *



٤ ـ الحلقـــة ..

هبّ (قدرى) و (منى) لاستقبال (حسام) فى لهفة ، فى حجرة (قدرى) بالفندق ، وسألته (منى) بكل مايجيش به صدرها من انفعال :

ـ ماذا فعلت ؟

أجاب فى حماس :

ـ التقيت به .

سأله (قدرى) :

ـ أهو بخير ؟

بدا الإعجاب والاحترام واضحين فى صوت (حسام) ولهجته ، وهو يقول :

ـ إنه رجل رائع ، ومن دواعى فخرى أن ألتقى به مباشرة .. إنه يتعامل فى سجنه بكل الثقة والهدوء ، كما لو أنه هو الذى يأسرهم .

ثم لوّح بسبّابته ، مستطردًا فى انبهار :

ـ ولقد وضع خطة مذهلة .

سألته (منى) فى لهفة :

ـ ما هى ؟!

شرح لهم خطة (أدهم) فى كلمات سريعة موجزة ، واتسعت عيونهما دهشة وانبهارًا ، وهتفت (منى) :

ـ خطة مذهلة بحق .

أما (قدرى) ، فسأل فى قلق بالغ :

ـ ولكن هل يمكنه تنفيذها ؟

أجابه (حسام) :

ـ من اللحظات القليلة ، التى قضيتها معه ، أكاد أجزم بأن هذا الرجل يمكنه إتيان أى عمل ، مهما بدا مستحيلًا .

هتفت (منى) :

ـ أنا أشاركك هذه الثقة .

تردد (قدرى) لحظات ، ثم قال محاولًا إخفاء قلقه البالغ :

ـ ولكن ماذا عن الإسرائيليين ؟.. هل تركوك تلتقى به ، ثم سمحوا لك بالانصراف ، بكل هذه البساطة ؟

ضحك (حسام) ، وقال :

ـ كلا بالطبع ، فالشك يلتهم قلوبهم التهامًا ، ولكن لم يكن بإمكانهم احتجازى ، مادامت أوراقى كلها سليمة ، ولكنهم أرسلوا اثنين من رجالهم خلفى ، ومن المؤكد أنهم زرعوا حقلًا كاملًا من أجهزة التصنت والمراقبة فى حجرتى ، و ..

قاطعهم فجأة صوت طرقات متوترة على باب الحجرة ، فاضطرب (قدرى) ، وهو يتمتم :

ـ لقد كشفوا أمرنا .
انتزعت (منى) مسدسها ، وقالت فى حزم :
ـ اهدأ يا (قدرى) .
واتجهت نحو باب الحجرة ، ولكن (حسام) استوقفها ، قائلا :
ـ اسمحى لى بهذا .
وسأل فى حسم :
ـ من الطارق ؟
أتاه صوت متوتر ، يقول :
ـ أنا(أديب) .. من الجناح الفلسطينى .
تبادلا نظرة دهشة ، ثم فتح (حسام) الباب ، ورأى (أديب) يندفع إلى الداخل ، ثم يغلق الباب خلفه فى سرعة ، ويهتف بأنفاس لاهثة :
ـ لقد كشفوا أمركم .
شحب وجه (قدرى) ، وتمتم فى هلع :
ـ كنت أتوقع هذا .
أما (حسام) ، فسأله فى حزم :
ـ ماذا تعنى ؟!
أجابه (أديب) فى انفعال :
ـ رجلنا فى (الموساد) أخبرنا أن (موشى درزائيلى)

أصدر أمرًا بإلقاء القبض على الفرنسية (برجيت مارلو) ، والبريطانى (إدوارد جير) ، بتهمة التجسس ، ودخول البلاد بجوازات سفر مزوَّرة .
التقى حاجبا (حسام) فى شدة ، وقال :
ـ هذا يحتاج إلى تحرك سريع ، قبل وصول الإسرائيليين .
ازداد شحوب وجه (قدرى) ، وهو يقول :
ـ تحرَّكا أنتما ، فحجمى سيعوقنى عن الفرار .
هتفت به (منى) :
ـ دعك من هذا القول .. سنتحرَّك جميعًا بإذن الله .
أجابها (أديب) بسرعة :
ـ سنعاونكم بكل قوتنا .. اطمئنوا .
أما (حسام) ، فاعتدل قائلًا :
ـ سأعمل أنا على إبعاد الرجلين ، اللذين أرسلهما (موشى) لمراقبتى ، فى الوقت الذى تعملون فيه على الفرار ، من السلم الخلفى .. وسنلتقى فى المنزل الآمن ، الذى تم الاتفاق عليه مسبقًا .
قالها واندفع يغادر المكان ، ورآه (قدرى) من النافذة يقفز داخل سيارته ، وينطلق بها مبتعدًا ، فيسرع الرجلان خلفه ، وقال (أديب) :
ـ هيا بنا .



صحبهما بسرعة إلى السلم الخلفى ، وهبطا فى درجات سلم الطابقين فى سرعة ، على الرغم من ضخامة جسد (قدرى) ..

صحبهما بسرعة إلى السلم الخلفى ، وهبطا فى درجات سلم الطابقين فى سرعة ، على الرغم من ضخامة جسد (قدرى) ، ولكن فى نفس اللحظة التى بلغا فيها الباب الخلفى ، توقفت سيارة من سيارات الأمن الإسرائيلية أمام الباب ، وسمعت (منى) صوت (موشى) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ احرسوا المدخل الخلفى جيدًا ، وأطلقوا النار دون إنذار ، على كل من يحاول الفرار منه .

قالها وانطلق مع فريق آخر من رجاله إلى باب الفندق الرئيسى ، وقال (قدرى) فى يأس :

ـ لافائدة .. لقد حاصرونا .

أجابته (منى) فى صرامة :

ـ لاتنطق هذه الكلمة أبدًا يا (قدرى) .. (أدهم) لم يحبها قط .

ثم جذبت مشط مسدسها ، مستطردة فى حزم :

ـ وتذكر أننا نفعل كل هذا من أجله .. وسنقاتل حتى آخر رمق .

دفعت الباب قليلًا ، ورأت ثلاثة من رجال الأمن بمدافعهم الآلية ، يقفون حول سيارة رياضية سوداء ، ويحرسون المكان فى تحفز ، وتمتم (أديب) فى قلق :

- إنهم ثلاثة رجال .

أجابته فى حزم :

- وأنا مصرية واحدة .

ثم صاحت بغتة :

- على بركة الله .

واندفعت خارج المكان ، وهى تطلق رصاصة نحو أحد الرجال الثلاثة ، وتصيبه فى صدره ، فتلقيه جانبًا ، ثم تدور على عقبيها ، وتطلق رصاصة ثانية نحو رجل ثان ، فتطيح بمدفعه الآلى ، فاستدار إليها الثالث ، صارخًا :

- إنها الجاسوسة .

كانت سبابته متحفزة ، على زناد مدفعه الآلى ، وكان يقف على الجانب الآخر من السيارة ، إلا أن (منى) وثبت فوق مقدمة السيارة فى مهارة مدهشة ، وركلت مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها زناده ، فانطلقت رصاصته فى الهواء ، وهنا دارت هى على عقبيها فى مرونة ، كراقصة باليه محترفة ، وركلت وجه الرجل ، ثم استكملت دورتها ، وركلته بالقدم الثانية فى صدره ، فألقته بعيدًا فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها الثانى نحو مدفعه ، الذى أطاحت به (منى) ، وهو يصرخ :

- هلموا يا رجال .. إنهم يحاولون الفرار .

ولكن (أديب) انقضَّ عليه من الخلف ، ولكمه فى مؤخرة عنقه ، هاتفًا :

- كفى يا رجل .. لايصح أن تفعل هذا فى حضرة آنسة محترمة .

بدا (قدرى) مبهورًا ، بما فعلته (منى) ، التى وثبت لتحتلّ مقعد قيادة السيارة الرياضية السوداء ، وهى تهتف به :

- هلم يا (قدرى) .

بقى لحظة جامدًا ، ثم اندفع نحو السيارة ، وجسده الضخم يترجرج فى قوة ، ولكنه لم يكد يبلغها ، حتى ظهر (موشى) ورجاله عند الناصية ، وهتف (موشى) :

- ها هما ذان .

وإثر كلمته ، أطلق أحد رجاله النار ، و ...

وصرخ (قدرى) ..

لقد أصابت الرصاصة فخذه الأيسر ، وفجرت منه الدماء ..

وصرخت (منى) :

- أسرع يا (قدرى) .. اركب السيارة .

هتف (قدرى) فى ألم :

- لن يمكننى هذا .. ابتعدى أنت فى سرعة .. ابتعدى واتركينى خلفك .

ولكنها مالت إلى اليمين بحركة حادة ، وجذبته من سترته صائحة :

- قلت لك : اركب بسرعة .

جاء ميلها هذا فى اللحظة المناسبة ، إذ أصابت رصاصة زجاج السيارة ، فى الوضع الذى كان يحتله رأسها تمامًا ، وسمعت أزيزها فوقها ، فى نفس الوقت الذى دفع فيه (أديب) (قدرى) داخل السيارة ، صائحًا :

- ألم تسمعها ؟!.. اركب بسرعة يارجل .

ثم وثب بدوره داخل السيارة ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها (منى) دواسة الوقود ، وانطلقت بأقصى سرعتها ..

وصاح (موشى) :

- لاتقتلوهم .. أريدهم أحياء .. أطلقوا على الإطارات .

وهتف (أديب) من داخل السيارة :

- ماذا تفعلين ؟!.. إنك تنطلقين نحوهم .

صاحت وهى تزيد من سرعة السيارة :

- هذا ما علمنى إياه (أدهم) .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

وكانت هذه المبادرة مفاجأة مدهشة بالفعل ، بالنسبة للإسرائيليين ، الذين تفرّقوا فى جزع وهربوا من طريق السيارة ، فيما عدا (موشى) ، الذى صاح غاضبًا :

- أطلقوا النار على الإطارات أيها الجبناء .

ثم وقف هو فى ثبات ، وصوّب مسدسه إلى إطار السيارة الأيسر الأمامى ، دون أن يبالى باندفاعها نحوه ، وهو يقول فى حزم :

- سنرى أيتها المصرية اللعينة ، من منا سيضحك أخيرًا ؟

ومن المنصف هنا أن نقول : إن (موشى دزرائيلى) لايخطئ إصابة هدفه ..

لايفعل قط ..

★ ★ ★

لم يخطئ (موشى) إصابة هدفه ..

ولم ينجح أيضًا فى إصابته ..

والأمر ليس لغزًا ..

والسبب بسيط للغاية ..

ان (موشى) لم يطلق رصاصته ..

كانت سبابته تكاد تعتصر الزناد ، وعينه تحدد الهدف بكل دقة ، ولكن سبابته لم تضغط ذلك الزناد ..

لقد انبعثت من الجوار بغتة صيحة هائلة ، ردد المكان كله صداها ، ثم اندفع عدد من رجال المقاومة الفلسطينية إلى ساحة القتال ..

وانطلقت الرصاصات من الجانبين ..

وبكل سرعتها ، انطلقت سيارة (منى) ، وكادت تصدم جسد (موشى) ، لولا أنه وثب جانبًا فى اللحظة الأخيرة ، ورأى السيارة تتجاوزه فى سرعة ، وتندفع مبتعدة ، فهتف فى غضب :

ـ اللعنة !

كان رجاله يتبادلون إطلاق النار ، مع رجال المقاومة الفلسطينية ، ولكنه لم يهتمّ بهذا ، ولم يصدر حتى أوامره وتوجيهاته فى هذا الشأن ، بل وثب إلى أقرب سيارة إليه ، وانطلق بها خلف سيارة (منى) ..

وفى ألم ومرارة ، قال (قدرى) :

ـ لقد كشفوا أمرنا ، وصار وقوعنا بين أيديهم مسألة وقت فحسب .

هتفت (منى) :

ـ إنك تمنحهم أكثر من حقهم فى هذا الشأن يا (قدرى) .. إنهم مجرّد جهاز أمنى ، وما من جهاز أمنى يخلو من الثغرات .

هم (قدرى) بالتعليق على عبارتها ، لولا أن قال (أديب) فى توتر :

ـ (موشى دزرانيلى) يطاردنا بسيارة قوية .

عقدت (منى) حاجبيها فى شدة ، وقالت :

ـ هل يمكنك الانتقال إلى مقعد القيادة ؟

تمتم متوترًا :

ـ سيحتاج هذا إلى وقت .

هتفت :

ـ ليس بالضرورة .

وضغطت دوّاسة الوقود بكل قوتها ، ثم انحرفت بغتة فى أوّل تقاطع يقابلها ، وتركت مقعدها ، لتثب إلى المقعد الخلفى ، هاتفة :

ـ هيا .

ارتبك (أديب) لحظة ، ولكن (قدرى) نقل قدمه المصابة ، وضغط دوّاسة الوقود ، وهو يمسك عجلة القيادة ، هاتفًا :

ـ هيا يا رجل .. لاتضيع الوقت .

أسرع (أديب) ينتقل إلى مقعد القيادة ، ويستعيد السيطرة على السيارة ، فى حين حطمت (منى) زجاج السيارة الخلفى بمقبض مسدسها ، وهى تصيح :

- اتخذت مسارًا مستقيمًا ، وسأطلق النار على سيارة (موشى) .

قالتها وأطلقت رصاصتين نحو سيارة (موشى) ، حطمتا زجاجها الأمامى ، فهتف (موشى) فى حنق :

- أيتها المصرية اللعينة !.. أتتصوَّرين أنك أكثر براعة من (موشى دزرانيلى) ؟

انحرف (أديب) بالسيارة ، فى تلك اللحظة ، التى أطلق فيها (موشى) رصاصة نحو (منى) ، فأصابت الرصاصة جسم السيارة ، واخترقته بصوت مكتوم ، فصاح (قدرى) فى هلع :

- احترسى .

أجابته (منى) فى حزم :

- سأفعل كل ما يمكننى..

وفى لحظة واحدة ، راحت تستعيد كل ما تعلمته فى صفوف المخابرات ، وكل مالقنها إياه (أدهم) ، طوال فترة عملها ..

إصابة الهدف تحتاج إلى الهدوء ، والتركيز ، و ... والثقة ..

والتقطت (منى) نفسًا عميقًا ، وهى تبذل جهدها للسيطرة على أعصابها ، ورأت (موشى) يصوِّب إليها

مسدسه بدوره ، عبر زجاج سيارته الأمامى المحطم ، فتمتمت :

- هيا يا (منى) .. أثبتى مرة أنك تستحقين العمل إلى جوار (أدهم صبرى) ..

هيا .

وكتمت أنفاسها ، وصوَّبت مسدسها إلى الهدف بدقة بالغة ، وتجاهلت مسدس (موشى) المصوَّب إليها ، و ... وضغطت الزناد ..

وفى نفس اللحظة ، ودون فارق تقريبًا ، ضغط (موشى) زناد مسدسه أيضًا ..

وأطلق القدر سؤاله المخيف ..

من منهما أصاب هدفه ؟..

من ؟

* * *



٥ - اللعبــــة ..

حلقت طائرة (سونيا جراهام) المائية الخاصة ، فوق المحيط الأطلنطى ، وأطلّ (مايكل) من نافذتها ، وهو يشير إلى جزيرة صغيرة ، هاتفًا فى سعادة :

- ها هى ذى .

ضاقت حدقتا (سونيا) ، وهى تلقى نظرة من نافذتها ، على جزيرتها الجديدة ، التى قررت إعدادها لتكون مقرًا لقيادة منظمة الجاسوسية ، التى تسعى لإنشائها ، منذ طلقها (أدهم) ، ونفثت دخان سيجارتها فى انفعال ، وهى تغمغم :

- إنها تبدو لى مناسبة .

هتف (مايكل) فى حماس :

- بل هى رائعة .. لقد نقلت إليها جيشك الصغير ، وأنشأت بها معسكرًا مثاليًا للتدريب ، كما حصلت على صفقة أسلحة ممتازة ، ستؤمن لها الحماية اللازمة .

هبطت الطائرة ، فى هذه اللحظة ، على سطح الماء ، بالقرب من شاطئ الجزيرة ، وانطلق زورق بخارى من الجزيرة ؛ لاستقبال (سونيا) ، ولم تمض دقائق حتى كانت تطأ شاطئ الجزيرة بقدميها ، وتدير بصرها فيها ، قائلة :

- سنحتاج إلى الكثير ، قبل أن تصبح مكانًا مناسبًا .

قال (مايكل) فى حماس :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

مطت شفتيها وكأنما الأمر لايروق لها ، فسألها متوترًا :

- ماذا سنطلق على الجزيرة ؟

سألته فى برود :

- وما الذى أطلقوه عليها سابقًا ؟

ابتسم قائلاً :

- لم يكن لها اسم فى السابق ، فهى مجرّد جزيرة صغيرة ، لم تهتم معظم الخرائط التقليدية بمجرّد ذكرها ، ولهذا ثمنها كان مناسبًا .

شردت ببصرها لحظات ، ثم أشارت إلى القمة ، التى تتوسّط الجزيرة ، وقالت :

- أريد بناء المقر هناك .. على القمة ، فى شكل قلعة منيعة ، وليتم إزالة كل الأشجار والنباتات ، فى دائرة نصف قطرها مائتى متر حولها ، وتغطية هذه الدائرة بأرضيات ملساء زلقة ، مقاومة للخدش ، بحيث لايكون هناك سوى طريق واحد ، يصل إلى بوّابة الأمن مباشرة ، وبحيث يمكن رؤية فأر صغير ، إذا ما حاول التسلّل إلى القلعة .. كما أريد حرف (سين) ضخم ، على قمة القلعة .

سألها فى دهشة :

- حرف (سين) ؟!.. ولماذا تضع على قمتها مثل هذا الحرف ؟ إنه لايشير إلى شىء محدود ، ولاحتى إلى اسمك !

صمتت لحظة ، ثم قالت :

- سيشير إلى اسم المنظمة فيما بعد .

سألها فى لهفة :

- وما اسم المنظمة ؟

أجابته فى صرامة :

- ستعرفه فى الوقت المناسب .

سأل فى خفوت :

- وماذا عن اسم الجزيرة ؟

صمتت لحظة ، ثم أجابت :

- ستعرفه أيضًا فى الوقت المناسب .

لم تكن الأسماء تعنيها كثيرًا فى هذه المرحلة ..

كان كل ما يعنيها هو أنها فى طريقها - أخيرًا - لصنع منظمتها الخاصة .

أكبر منظمات الجاسوسية الحرة فى العالم ..

وأكثرها خطورة ..

★ ★ ★

كان الفارق بين رصاصة (منى) ورصاصة (موشى) ، نصف ثانية فحسب ..

نصف ثانية ، صنعت فارقًا ضخمًا ..

لقد كانت (منى) هى الأسبق ..

انطلقت رصاصتها فى الوقت المناسب تمامًا ، وأصابت إطار سيارة (موشى) ، فانفجر الإطار بقوة ، واختل توازن (موشى) وسيارته ، وطاشت رصاصته ، وانحرفت السيارة فى عنف ، واندفعت بكل قوتها نحو جانب الطريق ، ولكن (موشى) ضغط فراملها فى مهارة ، وسيطر عليها فى قوة ، ونجح فى إيقافها ، قبل أن ترتطم بشىء ، فى حين اختفى (أديب) بالسيارة الأخرى ، فى تقاطع آخر ، وهتف (موشى) فى حنق :

- اللعنة !

كان يشعر بالغضب ، لأن فتاة مثل (منى) قد هزمته ، ونجحت فى الفرار منه ، فالتقط سماعة جهاز اللاسلكى ، وقال فى حدة :

- الجاسوسان المنشودان نجحا فى الفرار ، وهما ينطلقان بواحدة من سياراتنا الرياضية السوداء ، فى شارع ..

راح يملى ما لديه من معلومات على جهاز الأمن ، فى الوقت الذى واصل فيه (أديب) الانطلاق بالسيارة ، وجلست (منى) على المقعد الخلفى تلهث ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .. لقد أوقفته .

تمتم (قدرى) ، وهو يمسك فخذه المصابة فى ألم :

ـ سيذيع تفاصيلنا لاسلكيًا .

أجابه (أديب) :

ـ سنتحرّك قبل أن يفعل .

ثم انحرف فى شارع جانبى ، فسألته (منى) :

ـ إلى أين ؟

أجابها بسرعة :

ـ لقد أعددنا العدة لفراركما ، وهناك أكثر من سيارة تنتظرنا ، فى أماكن متفرقة من (تل أبيب) .

قالها وتوقف إلى جوار سيارة كبيرة ، ذات صندوق خلفى مغلق ، وقال :

ـ هيا بنا .

هبط سائق السيارة الكبيرة ومعاونه على الفور ، وساعدا (منى) و (قدرى) على الانتقال إلى الصندوق الخلفى ، وأغلقاه خلفهما ، ثم أشار (أديب) إلى السائق ، قائلاً :

ـ إلى المقر رقم ثلاثة على الفور .

سأله السائق ، وهو يدير محرّك سيارته :

ـ ألن تصحبنا ؟

أجابه بسرعة :

ـ كلا .. سأعمل على إحضار زميلهما .. هيا .. أسرع .

انطلق السائق على الفور دون مناقشة ، وراح يعبر شوارع (تل أبيب) فى هدوء ، شأن أى شخص عادى ، حتى بلغ منطقة السوق العربى ، وهناك أوقف سيارته ، وصاح بأحد أصحاب المتاجر :

ـ لقد أحضرت البضاعة المطلوبة .

أجابه الرجل فى بساطة :

ـ انقلها إلى المخزن ، فلايوجد لدى مكان هنا .

اتجه السائق مباشرة إلى مبنى قريب ، وأوقف سيارته بحيث كانت مؤخرتها تواجه باب المخزن مباشرة ، ثم فتح باب الصندوق الخلفى ، وهمس :

ـ أسرعا .

انتقلت (منى) بسرعة إلى المخزن ، وتبعها (قدرى) ، والسائق يعاونه ، وقد تلوّث سرواله من الناحية اليسرى بالدماء ، وما إن أغلق الرجل باب المخزن خلفهما ، حتى برزت فتاة فلسطينية من أحد الأركان ، وقالت :



انتقلت (منى) بسرعة إلى المخزن، وتبعها (قدرى)، والسائق يعاونه ..

- اتبعانى .

تبعاها دون مناقشة إلى باب سرى ، قادهما إلى قبو خفى ، وهناك استقبلهما (غسان) فى لهفة ، وهو يقول لابنته الكبرى :

- أسرعى لاستدعاء الدكتور (فادى) يا (جهاد) :

أسرعت (جهاد) تغادر المكان ، فى حين مزّق هو سروال (قدرى) ، وقال فى قلق :

- لقد فقدت الكثير من الدماء ، ولكن الرصاصة لم تبلغ العظام ، وهذا من حسن حظك .

ابتسم (قدرى) فى صعوبة ، وهو يقول :

- لاريب أن أطنان الشحوم قد احتجزتها .

ابتسمت (منى) فى تهالك وإشفاق ، فى حين قال (غسان) فى جدية :

- يبدو أن هذا صحيح .

ونهض إلى وعاء من الماء ، وراح يغسل ماحول الإصابة فى عناية ، وتمتمت (منى) :

- هل يمكننى معاونتك ؟

هزّ رأسه نفيًا ، فى نفس الوقت الذى عادت فيه (جهاد) ، وهى تصطحب شابًا وسيمًا ، اعتدل (غسان) يقول له فى اهتمام :

- هل أحضرت المعدات اللازمة ؟!.. إنك ستستخرج رصاصة .

أومأ الشاب برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم واقتضاب :

- اطمئن .

ثم التفت إلى (قدرى) ، وقال فى حنان عجيب :

- سأحقنك بمادة مخدِّرة ، ولكن الأمر سيحتاج منك إلى بعض الاحتمال .

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وغمغم والعرق يغمر وجهه :

- سأحاول .

حقنه (فادى) بالمادة المخدِّرة ، ثم أرقده على ظهره ، وبدأ عمله فى هدوء وسرعة ، ثم سأل :

- هل تشعر بشىء ؟

ولكن (قدرى) لم يجب ..

لقد فقد وعيه ..

فقده تمامًا ..

* * *

ارتسمت ابتسامة ساخرة متشفية ، على شفتى (إفرام) ، عندما دخل (موشى) إلى مكتبه ، والغضب يبدو واضحًا فى ملامحه ، على الرغم من جمودها الشهير ، وقال (إفرام) فى شماتة :

- يقال : إن المصرية وزميلها اللذين قد نجحا فى الفرار منك .. أهذا صحيح ؟

تجاهله (موشى) تمامًا ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويشعل جهاز الكمبيوتر ، فتابع (إفرام) فى كثير من السخرية :

- كان المفروض أن يرسلوا شخصًا أكثر خبرة .

التفت إليه (موشى) ، وقال فى برود :

- شخص مثلك .. أليس كذلك ؟.. وخاصة بعد النجاح المبهر ، الذى حققته فى مطاردتك لـ (أدهم صبرى) .

التقى حاجبا (إفرام) فى شدة ، وقال فى حدة :

- على الأقل أنا لست (موشى نزرانيلى) الأسطورة .

سأله (موشى) بغتة ، وكأنه يرغب فى تحويل دفة الحديث إلى مجال آخر :

- هل وصل تقرير خبراء اللغات ؟

أومأ (إفرام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. ولكنهم فشلوا جميعًا فى تحديد تلك اللغة ، التى تحدث بها (أدهم) وذلك المحامى الزائف ، ويؤكدون جميعًا أنها لغة خاصة حتمًا ، ولكنهم يعجزون عن كشف مفرداتها .

سأله (موشى) فى ضيق :

- وكم يحتاجون ، للتوصّل إلى هذا ؟

أجابه (إفرام) :

- ليس أقل من أسبوعين ، باستخدام الكمبيوتر .

التقى حاجبا (موشى) لحظات ، ثم هبّ من مقعده ، واتجه مباشرة إلى الباب ، فسأله (إفرام) فى سخرية :

- إلى أين ؟

أجابه فى برود ، وهو يصفق الباب خلفه :

- ليس هذا من شأنك .

وبخطوات واسعة سريعة ، اتجه (موشى) إلى حجرة مدير (الموساد) ، وهناك سأله المدير فى غضب :

- كيف تفشل فى الإيقاع بجاسوسين ، داخل الأراضى الإسرائيلية ؟

أجابه (موشى) فى ضيق :

- لقد نبههما شخص ما إلى قدومنا ، فاتخذا احتياطاتهما قبل وصولنا .

صاح المدير :

- كان من الواجب أن تضع هذا الاحتمال فى الحسبان .

لم يجد (موشى) ما يقول ، فتمتم فى خفوت :

- إنهما لن يذهبا بعيدًا .

ثم استطرد فى سرعة ، حتى لايمنح مديره فرصة للمناقشة :

- ولكن هناك ما هو أهم ، وأكثر خطورة :

سأله المدير ، وقد نجحت عبارة (موشى) فى جذب انتباهه :

- ما هو ؟

أجابه (موشى) على الفور :

- ما يحدث الآن يؤكّد وجود محاولة مستميتة من المصريين ، لإنقاذ (أدهم صبرى) ومنع محاكمته العلنية ، وهذا ما ينبغى أن نبذل قصارى جهدنا لإحباطه .

لوّح المدير بكفه ، قائلًا :

- وما الذى نفعله سوى هذا ؟

أجاب (موشى) :

- هناك ما هو أفضل من مطاردة الجواسيس ، والتخطيط للإيقاع بهم .

سأله فى صرامة :

- ما اقتراحك بالضبط ؟

شدّ (موشى) قامته ، وهو يجيب :

- أن نعجّل بمحاكمة (أدهم صبرى) .. هذا سيحسم الأمر ، ويجعل كل محاولات المصريين عديمة الجدوى ، بعد أن يتم تقديمه للناس علانية .

عقد المدير حاجبيه لحظات ، قبل أن يقول :

ـ اقتراح لابأس به .. سأعرضه على وزير العدل .

قال (موشى) فى حماس :

ـ اعرضه عليه على الفور ياسيّدى .. ولتتم محاكمة (أدهم صبرى) غدا .

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا مستحيل .. سأتحدث مع الوزير مباشرة ، ولكن الأمر يحتاج أيضًا إلى النشر فى الصحف ، وإعلان هيئة المحاكمة .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـ ولكننى أستطيع أن أعدك بأن محاكمة (أدهم صبرى) ستتم بعد غد ، وستكون أعظم محاكمة لجاسوس مصرى فى التاريخ .

وهنا شعر (موشى) بالارتياح ..

هنا فقط ..

* * *

فتح (قدرى) عينيه فى إرهاق ، وتمتم :

ـ أنا جائع .

أتاه صوت حنون ، يقول باللهجة الفلسطينية :

ـ سأعد لك الطعام حالًا .

جعلته اللهجة يستعيد ذاكرته كلها على الفور ، فتطلّع حوله ، وتمتم :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته (منى) فى ارتياح :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. لقد نجوت .

وأطلّ عليه وجه (حسام) ، قائلًا :

ـ لم تحن لحظتك بعد ياصديقى .

ابتسم (قدرى) ، وحاول النهوض ، وهو يقول :

ـ يعمر المقاتل طويلًا يافتى .. أخبرنى .. ماذا فعلت بالرجلين ، اللذين يراقبانك .

ضحك (حسام) ، وهو يقول :

ـ ربما مازالا ينتظران أمام دار السينما حتى الآن .

أحضرت (جهاد) الطعام فى هذه اللحظة ، فهتف (قدرى) :

ـ عاونونى على النهوض ، فالرائحة شهية أكثر مما ينبغى .. هيا .. أسرعوا .

عاونه (غسان) و (حسام) و (أديب) على النهوض ، وقالت (منى) :

ـ سنتناول الطعام جميعًا ، فأنا أيضًا أتضوّر جوعًا .

أقبلوا على الطعام فى شهية ، وواصل (قدرى) الأكل

وحده ، بعد أن نهضوا بفترة طويلة ، ثم ربت على كرشه ، قائلا :

- هكذا يستطيع المرء المقاومة .

قال (حسام) :

- هذا أفضل ، فسنحتاج منك إلى عمل طويل .

سأله (قدرى) ، وهو يعتدل :

- مثل ماذا ؟

أجابه فى اهتمام :

- لقد كشف الإسرائيليون أمرنا ، ولم يعد لديك أو لدى (منى) أو (أدهم) أية أوراق ، ومن الضرورى أن نحصل على هذه الأوراق ، حتى يمكننا الرحيل بعد انتهاء العملية بإذن الله .

سأله (قدرى) :

- ومتى نحتاج إلى تلك الأوراق ؟

صمت الجميع لحظة ، وقالت (منى) :

- غدًا .

هتف مستنكرًا :

- غدًا ؟!.. هذا مستحيل !.. لست هنا فى معملى الخاص .. الأمر يحتاج إلى عدد من التجهيزات ، و ..

قاطعته (منى) فى حزم :

- لم يعد هناك مجال للتأجيل يا (قدرى) .. لقد أعلن الإسرائيليون أنهم سيحاكمون (أدهم) صباح بعد الغد ، وهذا يعنى أنه لم يعد أمامنا سوى أربع وثلاثين ساعة فحسب ، وإلا خسرنا كل شىء .

وأردف (حسام) فى حسم :

- حتى (أدهم) نفسه .

انتفض جسد (قدرى) ، وهو يهتف :

- مستحيل !

ثم التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

- هيا .. أعدوا ورقة وقلمًا .. سأملى عليكم كل ما أحتاج إليه ، فلن نضيع لحظة واحدة فى سبيل إنقاذ صديقى الوحيد .. (أدهم صبرى) .

غمغم (حسام) :

- اطمئن يا رجل .. إننا نسعى جميعًا للهدف ذاته .

وراح (قدرى) يملى ما يحتاج إليه ..

وبدأت اللعبة .

* * *

٦ - وبدأت الخطـة ..

وقف (موشى نزرانيلى) لحظات صامتًا ، وملامحه الباردة الجامدة تتطلع كلها إلى (حسام) ، الذى وقف هادئًا ثابتًا ، حتى سأله (موشى) :

- لماذا عدت إلى حجرتك فى الواحدة صباحًا أمس ؟

أجابه (حسام) :

- ليس هذا من شأنك .

قال (موشى) فى برود :

- ولكنك راوغت رجال المراقبة ، ونجحت فى الفرار منهم .

أجابه (حسام) ساخرًا :

- ربما تنقصهم الخبرة .

جذبه (موشى) من ياقته بغتة ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمع ياهذا .. أعلم أن اسمك ليس (حسن عبد الرحمن) ، وأنك لست محاميًا على الإطلاق ، بل تعمل لحساب المخابرات المصرية ، ويمكننى إلقاء القبض عليك ، ومنعك من مقابلة (أدهم صبرى) .

دفع (حسام) يده بعيدًا فى غلظة ، وقال فى سخرية :

- كلا ياسيدى (موشى) لايمكنك هذا ، فأوراقى كلها سليمة ، من الناحية القانونية ، ولقد سجلت اسمى كمحام

عن (أدهم صبرى) ، وحصلت على تصريح خاص من وزارة العدل ، لمقابلة موكلى ، والتحدث معه .

عقد (موشى) حاجبيه ، وهو يقول :

- تبًا للقانون !.. لهذا أحب العمل خارج الحدود .. ولكن اسمع ياهذا .. صحيح أنهم سمحوا لك بمقابلته ، ولكن فلتعلم أننا سنسجل كل كلمة تتبادلانها ، وكل إيماءة رأس .

قال (حسام) :

- هذا غير قانونى .

أجابه (موشى) فى غلظة :

- يمكنك أن تشكو لوزير العدل .

هز (حسام) كتفيه ، وقال :

- لن أضيع وقتى فى هذه التفاهات .. هيا ..أفسح الطريق ودعنى أمر ، وسجل مايحلو لك .

استوقفه (موشى) فى صرامة ، قائلًا :

- لحظة .. إنك لن تحمل هذه الحقيبة إلى الداخل .

قال (حسام) :

- ولن أتخلى عنها أيضًا ، فهى تحوى كل أوراقى ومستنداتى .

أجابه (موشى) فى صرامة :

ستخضع لتفتيش دقيق :
هزّ (حسام) كتفيه ، وقال :
ـ ها هى ذى ، ولكن لاتضيع المزيد من وقتى .
أخضع (موشى) الحقيبة لفحص بالغ الدقة ، ولكنها كانت حقيبة بسيطة ، لاتحوى سوى ملف من البلاستيك ، يضم بعض الأوراق ، الخاصة بالدفاع عن (أدهم) ، وزجاجة حبر عادية ، وقلم بسيط ..
وفى صرامة ، قال (موشى) :
ـ ما حاجتك إلى زجاجة الحبر .
أخرج (حسام) زجاجة الحبر من الحقيبة ، وناوله إياها ، قائلًا :
ـ ها هى ذى .. لن أحملها معى .
بدا مزيج من الشك والقلق على وجه (موشى) ، ولكنه لم يملك سوى أن يغمغم :
ـ حسن .. يمكنك زيارته .
قالها وأسرع إلى حجرة المراقبة ، وهو يثق ، على الرغم من كل هذا ، فى أن (حسام) يخفى خدعة ما .. خدعة لصالح (أدهم صبرى) ..
أما (أدهم) نفسه ، فلم يكد يلمح (حسام) حتى ابتسم ، ونهض قائلًا :

ـ صباح الخير أيها المحامى .. ماذا لديك هذه المرة ؟
أجابه (حسام) ، وهو يخرج ملف الأوراق ، ويناوله إياه :
ـ لقد أحضرت نسخة من تقرير الدفاع ، رأيت ضرورة إطلاعك عليها .
تناول (أدهم) الملف فى لامبالاة ، وقال :
ـ فليكن .. ماذا عن الأمور الأخرى ؟
وهنا انتقل (حسام) للتحدث فجأة بلغة المخابرات المصرية الخاصة ، وهو يقول :
ـ لقد أعددنا كل شىء ، وبقى أن نعرف التوقيت المحدد للعمل .
سأله (أدهم) :
ـ هل الجميع بخير ؟
أجابه (حسام) :
ـ (منى) بخير ، ولكن (قدرى) أصيب برصاصة فى فخذه .
سأله (أدهم) فى قلق :
ـ يا للمسكين !.. وماذا فعل ؟
أجابه (حسام) :
ـ لقد استخرج الفلسطينيون الرصاصة ، وهو بخير الآن ، ويعمل على إعداد بعض الأوراق المزوّرة لنا .



تناول (أدهم) الملف فى لامبالاة ، وقال :
ـ فليكن .. ماذا عن الأمور الأخرى ؟..

ابتسم (أدهم) ، وقال :
ـ لن أحتاج إلى أية أوراق بإذن الله .
ثم اعتدل ، وأردف :
ـ المهم أن يسير كل شىء بمنتهى الدقة ، وبتوقيت محدود للغاية .. بهذا فقط تنجح الخطة .
قال (حسام) فى حسم :
ـ اطمئن .. سننفذ ما تأمرنا به بمنتهى الدقة .
وصمت لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :
ـ كل ما أتمناه هو أن أثبت لك أننى أهل لحمل لقب (ن ـ ٢) .
ابتسم (أدهم) ، وربت على كتفه ، قائلا :
ـ إنك تستحقه بكل جدارة يا رجل ، وإلا ما أسندت إليك هذا الدور الصعب فى الخطة ..
بدا الارتياح على وجه (حسام) ، وتمتم :
ـ أشكرك ياصديقى .
ربت (أدهم) على كتفه مرة أخرى ، وقال :
ـ اشحذ قوتك الليلة ياصديقى ، فسيحتاج الإسرائيليون إلى دهر كامل ، إذا ما نجحت الخطة بإذن الله ، لينسوا ما سنفعله بهم .

وابتسم ابتسامة واسعة تموج بالجذل ..
وبالغموض ..

* * *

انعقد حاجبا (موشى) طويلًا ، وهو يجلس خلف مكتبه ، وعقله يحاول دراسة الأمر عشرات المرات ، للتوصل إلى ما خفى عنه ، فى لقاء (حسام) و (أدهم) الأخير ..

كان واثقًا من أنهما قد اتفقا على شىء ما ..

شىء لصالح (أدهم) ..

شىء قد يقلب الموازين كلها رأسًا على عقب ..

ولكنه لم يدر أبدًا ما هذا الشىء ..

لم يتوصَّل أبدًا إلى حل هذا اللغز ..

وكان هذا يحنقه ..

يحنقه بشدة ..

وبتلك اللهجة الساخرة الشامتة ، قطع (إفرام) أفكاره ، قائلًا :

ـ هل تتوقَّع خدعة أخرى ؟

التفت إليه (موشى) لحظة فى صمت ، ثم أجاب مباشرة :

ـ نعم .

ارتفع حاجبا (إفرام) فى دهشة ، فلم يكن يتوقَّع هذا

الرد السريع المباشر ، ولكن (موشى) نطق الكلمة ، ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وقال فى حزم :

ـ هنا (موشى) .. ضاعفوا إجراءات حراسة (أدهم صبرى) ، وأطلقوا النار على أى شخص تشتبهون فى أمره ، يقترب من زنزانته ، وواصلوا مراقبته طيلة الوقت .

ثم أنهى المحادثة ، دون أن ينتهى ذلك القلق البالغ فى أعماقه ، وسأله (إفرام) :

ـ ما الذى تتوقَّعه ؟

أجابه (موشى) فى اقتضاب ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف مرة ثانية :

ـ أى شىء .

ثم قال عبر الهاتف :

ـ أعطنى قسم المراقبة .

وصمت لحظة ، سأله خلالها (إفرام) :

ـ أى شىء مثل ماذا ؟

تجاهله (موشى) تمامًا ، وهو يسأل رجال قسم المراقبة :

ـ ما الذى فعله (أدهم صبرى) ، بعد انصراف محاميه ؟

أجابه الرجل :

- لاشىء تقريبًا .. لقد قرأ الملف ، الذى تركه المحامى ، ثم ألقاه على فراشه فى لامبالاة ، وكأنما لايروق له ما قرأه فيه ، وطلب تناول عصير الليمون وقرص منوم ..

عقد (موشى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يرتد :

- قرص منوِّم ؟.. لماذا ؟

أجابه الرجل :

- لست أدرى .. يبدو أنه يحتاج إلى نوم عميق طوال النهار .

لم يناقش (موشى) الرجل ، ولكنه أنهى المحادثة ، وأعماقه تفور بسؤال بلا جواب ..

لماذا طلب (أدهم) هذا القرص المنوِّم ؟..

لماذا ؟..

* * *

أمسك (أدهم) كوب عصير الليمون ، وتظاهر بابتلاع القرص المنوِّم ، ولكنه أخفاه فى راحته بمهارة ، ودسَّه تحت وسادته ، ثم أمسك الملف الذى تركه (حسام) ،وتظاهر بقراءته للمرة الثانية ، وهو يرقد على فراشه ، ويولى ظهره لأجهزة المراقبة ..

وبسرعة ، بدأ (أدهم) عمله ..

لقد انتزع كعب الملف ، وجذب من أحد أطرافه إبرة

طويلة ، ثم انتزع جزءًا خاصًا منه ، وأداره حول نفسه ،ونس داخله جزءًا آخر ، فتكوَّن بين يديه ما يشبه محقنًا بدائيًا ، وبعدها أزاح طرف الكعب ، فسال منه سائل أصفر اللون ، تلقَّاه (أدهم) داخل المحقن ، ثم أضاف إليه القرص المنوِّم ، ووضع إبرة المحقن الطويلة فى موضعها ، وأخفى المحقن كله تحت الوسادة ..

وفى سرعة ومهارة ، ودون أن يتصوَّر رجال المراقبة أنه مستيقظ ، راح (أدهم) يذيب أوراق الملف فى عصير الليمون ، فذابت بسرعة مدهشة ، وكأنها مصنوعة من مادة خاصة ، وتحوَّلت إلى سائل سميك ، أخفاه (أدهم) إلى جواره ، وتركه يتفاعل فى بطء ، وهو يبتسم متمتمًا فى خفوت بالغ :

- هكذا أصبحت مستعدًا لك ياعزيزى (موشى) .

قالها واستغرق فى نوم عميق ..

عميق للغاية ..

* * *

تطلَّع (حسام) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الخامسة مساءً ، وقال فى هدوء لم يخل من الاهتمام :

- ينبغى أن نبدأ تحرُّكنا الآن .

أجابه (غسان) :

- لقد قام الصبية بالشغب المطلوب ، بالقرب من مقر (الموساد) ، وحدث ماتوقعناه تمامًا ، فقد هاجمهم

الجنود الإسرائيليون ، وفرقوهم ، ثم تركوا سيارة مصفحة فى المنطقة ، لمنع أى تجمهر جديد .

قال (حسام) :

ـ عظيم .. وأنت يا (أديب) .. هل أرسلت الرجل إلى المكان المنشود ؟

أومأ (أديب) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ اطمئن .. سيؤدى عمله فى اللحظة المنشودة تمامًا .

قالت (منى) فى حزم :

ـ كلنا سيؤدى عمله على خير ما يرام .

وغمغم (قدرى) :

ـ بالنسبة لى ، كاد العمل ينتهى تقريبًا .

التقط (حسام) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فلنبدأ إذن .. على بركة الله ..

وبدأ تنفيذ الخطة ..

* * *

ارتسمت ابتسامة بلهاء ، على وجه عامل النظافة ، داخل مبنى (الموساد) ، وهو يتطلع إلى أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ، الذى يعبر الممر ، ويقول له فى سخرية :

كيف حالك أيها العبقرى ؟

همهم عامل النظافة بعبارة مبهمة ، وابتسامته البلهاء تملأ وجهه كله ، فهز رجل مخابرات آخر رأسه ، وقال لزميله :

ـ كيف يستعينون بأبله كهذا لنظافة المكان ؟

ابتسم زميله ، وهو يقول :

ـ إنه أفضل خيار فى رأيى يا رجل ، فأبله مثله لن يدرك شيئًا عما يدور هنا ، ولن يمثل أية خطورة .

سأله الأوَّل فى شك :

ـ وماذا لو أنه يتظاهر بهذا ؟

قهقه زميله ضاحكًا ، وقال :

ـ هل تظن هذا ؟!.. من الواضح أنك تسرف فى مشاهدة أفلام المغامرات الهزلية يا رجل .

ابتسم الأوَّل فى خجل ، وهو يغمغم :

ـ إنه مجرَّد افتراض .

اختفيا فى نهاية الممر ، وهما يواصلان حديثهما ، وهنا تلاشت البلاهة من ابتسامة عامل النظافة ، وتحرَّك فى سرعة نحو حجرة جانبية ، فى نهاية الممر ، ففتحها ، وتسلل داخلها فى سرعة ، واعتدل مسئول المولد الكهربى الاحتياطى ، عندما رآه يتسلل إلى الحجرة ، فسأله فى حدة :

ـ ماذا تفعل هنا يا (زاك) ؟، ولماذا لم تطرق الباب قبل دخولك ؟

أغلق عامل النظافة الباب خلفه فى هدوء وإحكام ، وهو يقول :



ثم أخرج من دلو النظافة قنبلة زمنية ، ثبتها إلى المولد الاحتياطى فى إحكام ..

ـ هناك أمر بالغ الخطورة ، أحب مناقشته معك .

قال الرجل فى حذر وشك :

ـ أى أمر هذا ؟

أخرج (زاك) من جيبه فجأة ، مسدسا مزودا بكاتم للصوت ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ها هو ذا .

تراجع مسئول المولد الاحتياطى فى سرعة ، ولكن (زاك) أطلق رصاصة بلا تردد ، وألقاه جثة هامدة ، وبعدها أعاد مسدسه إلى جيبه ، ثم أخرج من دلو النظافة قنبلة زمنية ، ثبتها إلى المولد الاحتياطى فى إحكام ، وضبطها على تمام السادسة ، ثم غادر المكان فى هدوء ، وأغلق بابه خلفه ، وألقى مفتاح الباب من النافذة ، وراح يواصل عمله بنفس الابتسامة البلهاء ..

وبكل هدوء ..

★ ★ ★

أوقفت (منى) سيارتها أمام شبكة الكهرباء الرئيسية ، فى (تل أبيب) ، وهبطت منها وهى ترتدى ثياب ملازم بالجيش الإسرائيلى ، وقالت لرجل الأمن الواقف عند الباب ، وهى تبرز بطاقة خاصة ، تحمل شعار المخابرات الإسرائيلية :

- تفتيش خاص .
أدى رجل الأمن التحية العسكرية ، وقال :
- أنا رهن إشارتك أيتها الملازم .
أعادت البطاقة إلى جيبها ، وهى تسأله :
- من بالداخل الآن من المسئولين ؟
أجاب فى احترام :
- المهندس النوبتجى ، مع طاقم من الفنيين .
قالت وهى تعبر إلى الداخل فى هدوء :
- فليكن .. سألتقى به .. ابق فى مكانك ، ولا تسمح بدخول أحد .

أدى الرجل التحية العسكرية مرة أخرى ، وتركها تدخل إلى الشبكة ، فاتجهت مباشرة إلى الخطوط الرئيسية ، وانحرفت فى ممر جانبى ، ثم توقفت ، وأخرجت الخريطة التى أعطاها إياها (أنيب) ، وراحت تراجعها متمتمة :
- ترى أيهم الخط الرئيسى لمبنى (الموساد) ؟
راجعت الخطوط بسرعة ، ثم توقفت عند الخط الثالث ، وقالت :
- ها هو ذا .

همت بإخراج القنبلة الزمنية من جيبها ، عندما سمعت صوتًا يقول فى صرامة :
- من أنت ؟.. وماذا تفعلين هنا ؟

التفتت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ورأت المهندس النوبتجى يتجه إليها ، بصحبة اثنين من الفنيين ، فأخرجت يدها من جيبها ، وعقدت كفيها خلف ظهرها ، وهى تقول فى صرامة :
- أأنت المهندس النوبتجى ؟
أجابها فى شك :
- نعم .. أنا هو ؟.. من أنت ؟ ، وماذا تريدين ؟
أخرجت بطاقة (الموساد) الزائفة ، وهى تقول :
- تفتيش خاص .
سألها فى حدة :
- لماذا ؟.. هذا لم يحدث أبدًا من قبل .
أعادت البطاقة إلى جيبها بسرعة ، وهى تقول :
- هناك شك فى حدوث محاولة تخريب .
قال المهندس فى حدة أكثر :
- حقًّا ؟!

ثم أخرج من جيبه مسدسًا فجأة ، وهو يضيف فى عنف :
- هذا ما حذرونا منه .. محاولة خداع .. هيا .. ارفعى يديك فوق رأسك .. لقد انكشف أمرك ..
وأسقط فى يد (منى) .

٧ ـ القتال ..

استيقظ (أدهم) فى تمام الخامسة والنصف، كما لو أن ساعة بيولوجية خاصة قد أطلقت رنينها فى رأسه، وجلس فى هدوء على طرف فراشه، وألقى نظرة على آلتى التصوير، اللتين تراقبانه من زاويتى زنزانته، وقال فى سخرية :

ـ مساء الخير أيها الأوغاد .

ثم ابتسم متهكمًا، وأضاف :

ـ أغلقوا عيونكم قليلًا، فسأصلى .

ثم يمم وجهه شطر الجنوب الشرقى، وصمت فى خشوع، وأخذ يصلى ..

والعجيب أنهم راقبوه فى دهشة ورهبة بالغتين ..

كانت هناك قشعريرة عجيبة تسرى فى أجسادهم، عندما يؤدى صلواته الخمس ..

قشعريرة تمتزج بدهشة غريبة، وكأنما لا يصدقون أن ذلك الأسطورة، الذى ارتجفت له دماؤهم دومًا فى عروقهم، يمكن أن يصلى لله بكل هذا الخشوع ..

وطوال صلاته، لم ينبس أيهم ببنت شفة، حتى انتهى، وجلس لحظات صامتًا على طرف فراشه، ثم عاد يرفع عينيه إليهم، قائلًا :

ـ أريد مقابلة (موشى دزرانيلى) .. حالًا .

تبادلوا نظرة دهشة، وغمغم أحدهم :

ـ هل نبلغ (موشى) ؟

أجابه الآخر :

ـ بالطبع .. لقد طلب إبلاغنا بأى شىء يفعله هذا المصرى، فما بالك وهو يطلب مقابلته مباشرة .

ثم رفع سماعة الهاتف، قائلًا :

ـ سأتصل به .

لم تمض عشر دقائق على هذا، حتى كان (موشى) يقف داخل زنزانة (أدهم)، ويقول لهذا الأخير فى حذر :

ـ لماذا طلبت مقابلتى يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية، وهو يقول :

ـ أردت التمتع بطلعتك البهية يا عزيزى (موشى) .

صمت (موشى) دون جواب، فاعتدل (أدهم)، وقال :

ـ الواقع أننى أردت إبلاغك بما أنوى فعله، حتى لا يفاجئك الأمر فى حينه .

سأله (موشى) فى شك :

ـ وماذا الذى تنوى فعله ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية، وجلس علـــى طرف فراشه، وهو يقول :

ـ لن أحضر المحاكمة .

صمت (موشى) طويلًا، وهو يتطلع إليه فى شك وحذر، ثم قال :

- اسمع يا (أدهم) .. أعلم أنك تعد خطة ما للفرار ، بالتعاون مع زميلك هذا ، الذى ينتحل شخصية محام ، ولكن هذه الخطة لن تفلح ، فقد ضاعفت الحراسة ، وضاعفت إجراءات الأمن ، و ...

قاطعه (أدهم) ضاحكًا ، وهو يقول :

- لافائدة يا عزيزى (موشى) .. سأهرب على الرغم من كل هذا .

قالها وأطلق ضحكة ساخرة مجلجلة ..

ضحكة فجرت كل غضب (موشى) ..

فجرته كاملًا ..

وبكل الغضب والثورة في عروقه ، صاح (موشى) :

- فليكن يا (أدهم) .. أنا أراهنك على أنك لن تنجح أبدًا فى الفرار ..

قال (أدهم) فى هدوء :

- فليكن يا (موشى) .. صحيح أننى أرفض المراهنات فى المعتاد ؛ لأنها تخالف تعاليم ديانتى ، إلا أننى مستعد لمراهنتك على هذا الأمر ، بشرط واحد .

سأله (موشى) فى حدة :

- ما هو ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- أن يكون الرهان هو اعترافك بالهزيمة يا عزيزى (موشى) .. اعترافك العلنى .

وعاد يطلق ضحكته الساخرة ..

★ ★ ★

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتراجع (منى) ..

كان من المستحيل أن تستسلم ، مادام الأمر يتعلق بحرية (أدهم) ..

بأمنه ..

بحياته ..

لهذا تحرّكت (منى) بكل مهارتها وسرعتها وخفتها ..

لقد وثبت فجأة ، وركلت المسدس من يد المهندس بقدمها اليمنى ، ثم ضربت صدره بقدمها اليسرى ، فدفعته نحو الرجلين المصاحبين له ، وأسقطت ثلاثتهم أرضًا ..

ولم يطل سقوط الرجال الثلاثة ..

لقد هبوا لقتالها مرة أخرى ، والتقط كل منهم قائمًا معدنيًا ، وانقضوا عليها والمهندس يهتف :

- أيتها العربية اللعينة .. لن تسيطرى على (إسرائيل) أبدًا .

قالها وهوى على رأسها بالقائم المعدنى ، فتفادته (منى) بقفزة جانبية رشيقة ، ثم دارت على قدم واحدة فى

سرعة ومرونة ، وركلت المهندس فى وجهه ركلة كالقنبلة ، دفعته إلى الخلف فى عنف ، وأسقطته فاقد الوعى ، فاندفع نحوها الفتيان ، وحاول أحدهما لكمها بقوة ، ولكنها بادرته بلكمة قوية فى أنفه ، وثانية فى فكه ، ثم وثبت متفادية ضربة ثقيلة ، من القائم المعدنى الذى هوى به الثالث عليها ، ولكمته فى مؤخرة عنقه بقبضتيها ، فأسقطته فاقد الوعى بدوره ، ثم لكمت الثانى فى معدته وفكه ، وألحقته بزميليه ..

وهنا لهثت (منى) فى شدة ..

لقد قاتلت بعنف لم تعهده بنفسها من قبل ..

فعلت هذا من أجله ..

من أجل (أدهم) ..

وبسرعة ، أخرجت القنبلة الزمنية من جيبها ، وثبتتها بالخط الثالث ، ثم أسرعت تغادر المكان ، وسألها حارس الأمن مبتسماً :

ـ هل أنهيت مهمتك أيتها الملازم ؟

أجابته بابتسامة مماثلة :

ـ نعم .. كانت مهمة ناجحة .

وعندما انطلقت بسيارتها ، كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة إلا سبع دقائق ..

سبع دقائق فحسب ، قبل نقطة الصفر ..

* * *

ألقى (حسام) نظرة طويلة على العربة المصفحة ، التى وقفت ثابتة ، فى تلك المنطقة المجاورة لمبنى (الموساد) ، وتطلع إلى جنودها الثلاثة ، الذين جلسوا على قمتها يتسامرون ، وكل منهم يحمل مدفعه الآلى ، بعد ساعة كاملة من الهدوء النسبى ، ثم نظر إلى ساعته ، التى تشير عقاربها إلى السادسة إلا أربع دقائق ، وغمغم :

ـ الآن .

وفى حسم ، ثبت اللحية الزائفة على وجهه ، ثم اتجه نحو السيارة المصفحة بظهر محنىً ، فالتفت إليه أحد الجنود الثلاثة ، وقال فى صرامة :

ـ ابتعد أيها الكهل .. من المحظور الاقتراب من هنا .

قال (حسام) بصوت واهن :

ـ لماذا يا ولدى ؟

أجابه الجندى فى سخرية :

ـ لأننى أقول هذا .. هل فهمت أيها الكهل ؟

ضحك زميلاه فى سخرية مماثلة ، وأحدهما يقول :

ـ ربما يعانى ضعف السمع ، أو ..

ولكن فجأة ، اعتدلت قامة (حسام) ، وهو يقول :

ـ بل من قوة قبضتى ، لوشئت الدقة .

قالها ووثب فجأة فوق السيارة المصفّحة ، ولكم أحد الجنود الثلاثة فى معدته ، ثم أخرج مسدسه بسرعة البرق ، وأطلقه على الثانى ، فى نفس اللحظة التى ركل فيها الثالث بكل قوته ..

وفى لحظة واحدة ، كان (حسام) قد أزاح الجنود الثلاثة ، ثم وثب داخل السيارة المصفّحة ، هاتفًا :

ـ إلى اللقاء فى قتال آخر أيها الأوغاد .

وانطلق بالسيارة المصفّحة ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، متمتمًا :

ـ دقيقتان على ساعة الصفر

وبكل الحماس فى أعماقه ، زاد من سرعة السيارة المصفّحة ..

واقتربت ساعة الصفر أكثر ..

* * *

تزايد غضب (موشى) بشدة ، مع ضحكات (أدهم) الساخرة العالية ، وقال فى حدة :

ـ لماذا تثق فى موقفك إلى هذا الحد ؟

دس (أدهم) يده أسفل الوسادة ، بصورة بدت عفوية تمامًا ، وهو يقول :

ـ رائــع .. لقـد فقـد (موشى دزرائيلـى) بروده الأسطورى .

بذل (موشى) جهدًا شديدًا ، ليسيطر على أعصابه ، وهو يقول :

ـ لماذا أرسلت فى طلبى يا (أدهم) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى استهتار :

ـ بدونك لن تصلح أبدًا خطة فرارى يا صديقى ..

انعقد حاجبا (موشى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟

لم يكد يلقى سؤاله هذا ، حتى دقت الساعة معلنة تمام السادسة ..

وحانت ساعة الصفر ..

ومع آخر دقات الساعة ، انفجر الخط الكهربى الرئيسى ، الذى يغذى مبنى (الموساد) بالكهرباء ، وانفجر فى الوقت ذاته المولّد الكهربى الاحتياطى داخل المبنى ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها (حسام) بسيارته المصفّحة بوّابة المبنى ، وهو يصرخ فى جذل :

ـ فليبدأ الاحتفال ..

ومع كل هذا ، وقبل أن يستوعب (موشى) ماحدث ، التقط (أدهم) المحقن من أسفل الوسادة ، وانقضّ عليه قائلًا فى سخرية :

ـ قل لى ياصديقى (موشى) : هل تخشى الظلام ؟

ومع قوله ، غرس إبرة المحقن الطويلة فى ذراع (موشى) ، ودفع فيها السائل ذا اللون الأصفر كله ..

وصاح (موشى) ، وهو يدفع (أدهم) بعيدًا :

ـ ما هذا ؟

لكمه (أدهم) فى فكه بقوة ، وهو يقول ساخرًا :

ـ الخطوة الأولى فى خطة الفرار يا رجل .

حاول (موشى) أن يقاتل بقدراته المعروفة ، إلا أن ذلك السائل الأصفر بدا وكأنه يتسلل بسرعة إلى عقلـه وعضلاته ، ويصيبه بوهن ودوار عنيفين ، فصاح :

ـ لن يمكنك هذا .

قال (أدهم) متهكمًا :

ـ حقًا ؟!

فتح (موشى) شفتيه ليهتف مناديًا رجال الأمن ، إلا أن تأثير العقار غطى عقله كله بغتة بطبقة من الضباب ، جعلته يهتف فى وهن :

ـ اللعنة !

ثم هوى فاقد الوعى ..

وبسرعة مدهشة ، تحرك (أدهم) ، فأبدل ثيابه مع (موشى) ، ثم التقط كوب عصير الليمون ، وأخرج السائل اللزج منه ، وراح يطلى به وجه (موشى) فى سرعة

ومهارة ، حتى أخفاه كله ، وبعدها راح يفعل المثل بوجهه هو ، ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى جف ذلك السائل ، وتحول إلى طبقة مطاطية رقيقة ، انتزعها (أدهم) عن وجهه ، وانتزع الأخرى عن وجه (موشى) ، وألصق كلا منهما بوجه الآخر ..

وفى دقيقة واحدة كانا قد تبادلا الأدوار ، واستبدلا الأماكن ..

صار هو (موشى دزرائيلى) ، وصار (موشى) شبيها به هو ...

صحيح أن هذه الأقنعة لم تكن متقنة تمامًا ، ولكنها كانت تكفى لخداع رجال (الموساد) ، وسط الظلام السائد ، والقتال الدائر عند الأبواب ..

كان فريق من الفلسطينيين قد انضمَ إلى (حسام) ، وراحوا يتبادلون إطلاق النيران مع الإسرائيليين فى عنف وشراسة ، وسط الظلام السائد ، وحالة الهرج والمرج ، التى سادت مبنى (الموساد) ..

وبصوت يستحيل تفرقته عن صوت (موشى) ، صاح (أدهم) برجال الحراسة :

ـ افتح الباب يا رجل .. بسرعة .

أسرع رجل الأمن يفتح الباب ، وهو يسأل فى شك :

- ماذا حدث ؟
أجابه (أدهم) بصوت (موشى) :
- (أدهم صبرى) حاول الفرار ، ولكننى أفقدته الوعى .. إنها خطة لتهريبه .. لاتسمح له بالخروج ، وأغلق الأبواب جيدًا .. حتى أعود إليك ..
قالها وأسرع يغادر المكان بخطوات واسعة ، حتى بلغ نهاية الممر ، وهتف بحارس البوابة الأولى :
- قائلاً بكل شراسة ، وسأعود إليكما بعد قليل .
وبكل سرعة ، انطلق إلى الباب الخلفى للمبنى ، وصاح بحارسه :
- افتح الباب .
أطاعه الرجل فى سرعة ، وهو يتصور أنه (موشى) نفسه ، فغادر (أدهم) المبنى فى سرعة ، وانحرف فى شارع جانبى ، ثم وثب داخل سيارة كبيرة ، تنتظره عند الناصية ، وأغلق بابها خلفه ، وابتسم قائلاً :
- مساء الخير أيها السادة .
هتفت (منى) فى سعادة بالغة :
- (أدهم) .. يالسعادتى .
كادت تلقى نفسها بين ذراعيه لولا وجود (غسان) و (أديب) ، فى حين أمسك هو كتفيها ، وهو يقول فى حنان :

- كم تسعدنى رؤيتك يا عزيزتى .
أذابت عبارته قلبها ، وقال (غسان) :
- هل ننطلق ؟
أجابه (أدهم) :
- كلا .. مازال أمامى الكثير داخل مبنى (الموساد) .
هتف (أديب) مستنكرًا :
- هل ستعود إلى هناك ؟
ابتسم (أدهم) فى جذل ، وهو يقول :
- بالطبع .. ولم لا ؟!
ثم سأل (منى) ..
- هل أحضرت الأدوات ؟
أجابته فى سرعة :
- بالطبع .
وضعت أمامه كل أدوات التجميل ، التى أحضرتها معها ، وجلس هو أمامها ، وراح يستخدمها فى سرعة ومهارة مذهلتين ..
واتسعت عيون (غسان) و (أديب) فى ذهول ..
صحيح أن هذه الأدوات لم تكن - فى حقيقة أمرها - سوى مواد كيماوية معقدة ، ابتكرها علماء إدارة المخابرات العامة المصرية ، إلا أن براعة أصابع (أدهم) ، وقدرته المدهشة على استخدامها ، كانت تكفى لإبهارهما بحق ..

وخلال عشر دقائق فقط ، كان (أدهم) قد صنع قناعين متقنين للغاية .. أحدهما لوجهه ، والآخر لوجه (موشى دزرانيلى) ..

وفى سرعة ومهارة ، وضع على وجهه قناع (موشى) ، وابتسم قائلا :

- والآن يمكنكم الانصراف .

هتفت (منى) :

- (أدهم) .. سأبقى معك .

هز رأسه نفيا ، وقال :

- لا يا عزيزتى .. دعينا لانفسد الأمور بعواطفنا .. انصرفى ، واستعدوا جميعًا للعودة إلى (القاهرة) .

قالها ووثب خارج السيارة ، هاتفًا :

- انطلقوا .

ابتعدت السيارة على الفور ، فى حين عاد هو بخطوات سريعة إلى مبنى (الموساد) ، واتجه مباشرة إلى القبو ، وقال لرجال الحراسة :

- هل حاولوا الوصول إليه ؟

أجابه الرجل فى دهشة :

- كلا .. يبدو وكأنهم يقاتلون عند البوابة فحسب .

قال بلهجة آمرة ، وبصوت (موشى) :

- افتح الباب إذن .

كان انقطاع التيار يمنعهم من استخدام أسلوب فحص البصمات الإليكترونى ، أو البطاقات المغنطيسية ، فأسرعوا يفتحون الأبواب يدويًا ، حتى عاد (أدهم) إلى زنزانته فى القبو ، وقال فى سخرية :

- هأنذا قد عدت إليك يا عزيزى (موشى) .

وفى دقة بالغة ، وباستخدام مصباح يدوى بسيط ، ألصق القناع الذى يحمل وجهه على وجه (موشى) ، وهو يقول :

- معذرة يا عزيزى (موشى) .. سيفقدك العقار وعيك لعشر ساعات كاملة ، وبعدها ستشعر بدوار عنيف ، ويعجز عن تحديد موقعك ، لخمس ساعات أخرى ، وعندما تستعيد وعيك ، ستعرف أننى ربحت الرهان .

انتهى بسرعة من تثبيت القناع ، ثم دهن أصابع (موشى) بنفس السائل اللزج ، وتركه حتى جف ، ثم انتزع الطبقة المطاطية فى حرص ، ووضعها فى جيبه ، واعتدل قائلًا :

- إلى اللقاء يا عزيزى (موشى) .. لقد خسرت هذه المعركة .

وبسرعة غادر القبو ، واتجه بسرعة إلى زنزانة (زياد) ، وقال لحارسها :

انتهى بسرعة من تثبيت القناع ، ثم دهن أصابع (موشى) بنفس السائل اللزج ، وتركه حتى جفّ ..

ـ افتح الباب .. سأحمل هذا السجين بعيدًا .. إنهم يسعون إليه .

أطاعه الرجل فى سرعة ، ودون مناقشة ، وأخرج (زياد) من زنزانته ، وترك (أدهم) يحمله إلى الخارج ..

ومن بعيد ، تصاعدت أصوات أبواق الشرطة وسيارات الأمن ..

وبدأت عملية الانسحاب ..

وفى تمام السادسة والثلث ، كان رجال الأمن يحيطون بمبنى (الموساد) إحاطة السوار بالمعصم ، ولكن دون أن يسقط فى قبضتهم فلسطينى واحد ..

لقد نجحت الخطة ..

نجحت تمامًا .





٨ ـ الجولة الأخيـرة ..

لم يصدّق (قدرى) عينيه ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى ابتسم فى سعادة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا ياصديقى .. كم يسعدنى أن أجدك هنا .

ارتجفت شفتا (قدرى) ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يهتف :

ـ ياصديقى العزيز .. كم تسعدنى رؤيتك سالمًا .

صافحه (أدهم) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا(قدرى) .. إننى أعتبرك أشجعنا على الإطلاق ، بقدومك إلى هنا .

هتف (قدرى) ، ودموع الفرح تتدفق من عينيه :

ـ لم أكن لأتخلى عنك أبدًا ياصديقى .

ربت (أدهم) على كتفيه فى حرارة ، ثم اعتدل قائلاً :

ـ هذا ما أنتظره منك ياصديقى .. بل منكم جميعًا ..

كانت (منى) أكثر الجميع سعادة ، وهى تقول :

ـ لدى مفاجأة لك يا(أدهم) .. لقد أصدر السيّد رئيس الجمهورية قرارًا بإعادتك إلى الصفوف .. لقد عدت واحدًا منا يا(أدهم) ، مع ترقيتك إلى رتبة عقيد .

صمت (أدهم) لحظات ، ليتغلّب على ذلك الفوران

العاطفى فى أعماقه ، إلا أن صوته بدا مبحوحًا منفعلاً ، وهو يقول :

ـ هيا يا رفاق .. لابد من مغادرتكم (إسرائيل) الآن ، قبل أن يستعيد هؤلاء الأوغاد توازنهم ، ويحاولون منعكم من ذلك .

قال (قدرى) فى قلق :

ـ ألن تغادر معنا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لم تنته مهمتى بعد .

قال (حسام) فى حزم :

ـ سأبقى معك أيضًا .

وهتفت (منى) :

ـ وكذلك أنا .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ لن يبقى أحد .. لقد عدت إلى الصفوف كما تقولون ، ويمكنك اعتبار هذا أمرًا واجب التنفيذ .

سأله (قدرى) :

ـ وهل سيمكننا الخروج من هنا ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يثبت قناع (موشى) مرة أخرى على وجهه :

- نعم .. فسأرافقكم إلى المطار بنفسى ، بصفتى (موشى درزانيلى) .. أخطر رجل فى صفوف (الموساد) .

سألته (منى) :

- ومتى تلحق بنا ؟

أجابها فى هدوء :

- فور انتهائى من مهمتى الأساسية ياعزيزتى .

قالت بصوت متهدج :

- سأنتظرك ..

ابتسم قائلاً فى حنان :

- وسأبذل قصارى جهدى للعودة بسرعة .

شعر (حسام) بشىء من الغيرة ، وهو يقول :

- يمكننى أنا أن أبقى ، فأوراقى سليمة .

قال (أدهم) فى حزم :

- بل ستغادر (إسرائيل) معهم ياصديقى ، وبالأوراق التى صنعها لى (قدرى) ، أما أوراقك فسأستعيرها أنا .

سأله فى دهشة :

- ولكن لماذا ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

- لست أحب أن يفوتنى المشهد الأخير ياصديقى ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

- ولا الجولة الأخيرة .

وازدادت ابتسامته جذلاً ..

★ ★ ★

ارتسمت المرارة بكل صورها على وجه مدير (الموساد) ، وهو يتفقد المبنى ، بعد كل ما أصابه من خسائر ، وهتف فى حنق :

- أين (موشى) ؟.. كيف يختفى فى ظروف كهذه ؟

أجابه أحد الرجال :

- ربما يطارد المهاجمين ياسيدى .

هتف المدير فى حنق :

- كان ينبغى أن يخبرنى أولاً .

لم يكد يتم عبارته ، حتى هرع إليه أحد رجاله ، حاملاً هاتفًا لاسلكيا ، وهو يقول :

- مكالمة عاجلة من (موشى) ياسيدى .

اختطف المدير الهاتف ، وهو يصيح فى غضب :

- موشى .. أين أنت ؟

أجابه (أدهم) بنفس صوت ولهجة (موشى) :

- إننى أطارد المهاجمين ياسيدى .. كانت محاولة انتحارية لتهريب (أدهم صبرى) ، ولهذا حقنته بمخدر خاص .. كنت أحتفظ به للطوارئ ، ولن يستعيد وعيه كاملاً ، إلا فى قاعة المحاكمة .

سأله المدير فى حدة :
ـ وأين أنت الآن ؟
أجابه (أدهم) :
ـ اطمئن ياسيّدى .. إننى أواصل المطاردة ، وسأوقع بهم مساء الغد على الأكثر .
سأله المدير :
ـ هل تحتاج إلى معاونة ؟
أجاب (أدهم) :
ـ كلا ياسيّدى .. أشكرك .
وعندما أنهى المحادثة ، من هاتف المطار ، كان (أدهم) يبتسم فى سخرية ، وهو يحمل وجه (موشى) ، ويقول :
ـ هكذا يسير كل شىء على مايرام ، حتى تبدأ الخطوة الأخيرة .
وفى هدوء ، اتجه إلى سيارته ، وانطلق بها إلى منزل (أورلوف) ، وهناك أدى له طاقم الأمن التحية العسكرية ، بصفته (موشى دزرائيلى) ، ورافقه قائدهم حتى باب منزل العقيد (أورلوف) ، الذى استقبله فى دهشة بالغة ، وهو يقول :
ـ (موشى) ؟!! .. ما الذى أتى بك فى هذه الساعة ؟

رمقه (أدهم) بنظرة باردة ، وهو يقول :
ـ هناك شىء يؤرقنى بشأنك يا (أورلوف) .
ازدرد (أورلوف) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :
ـ لماذا يا (موشى) ؟
هزّ كتفيه ، قائلًا :
ـ يقول البعض : إنه من المحتمل أنك لست (أورلوف) الحقيقى .
هتف (أورلوف) مستنكرًا :
ـ ماذا ؟!.. من أنا إذن ؟!
أجابه (أدهم) بنفس البرود ، الذى يميّز شخصية (موشى) :
ـ عميل للمخابرات المصرية ، أجريت له جراحة تجميلية ، ليصبح نسخة طبق الأصل من (أورلوف) الحقيقى ، ويمكنه الوصول إلى المقرّ السرى للكمبيوتر (سيميولاتور) وتدميره .
هبّ (أورلوف) من مقعده ، هاتفًا :
ـ هذا سخف واضح .. أنت تعلم أننى ..
قاطعه (أدهم) بإشارة صارمة ، وهو يقول :
ـ لست أعلم شيئاً .. أريد دليلًا ملموسًا .
هتف (أورلوف) :

- مثل ماذا ؟.. يمكنك فحص بصماتى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

- بصماتك ؟!.. لو أنك تنتحل شخصية (أورلوف) منذ فترة ، لأمكنك تغيير بطاقة بصماته نفسها .

قال (أورلوف) فى عصبية :

- كيف يمكنك التأكد من شخصيتى إذن ؟

صمت (أدهم) لحظات ، وهو يرمقه بنظرة باردة صارمة ، ثم أخرج من جيبه دفترًا صغيرًا وقلمًا ، وناولهما إياه ، قائلًا :

- لو أنك (أورلوف) الحقيقى ، فستكون لديك كل المعلومات السرية عن (سيميولاتور) ، والتى لايعرفها سواه .. مكانه السرى .. الكود الخاص لفتح برنامجه .. قاعدته الأساسية .. ووسائل الأمن .. كل شىء .. هيا اكتب مالديك .

تردد (أورلوف) لحظة ، وقال :

- أليس من الأفضل أن أخبرك بها ، بدلًا من كتابتها ؟

أشار (أدهم) بيده ، مشيرًا إلى احتمال وجود أجهزة تصنت ، وهو يقول :

- الكتابة أكثر أمنًا ، وستتخذ الاحتياط الأمنى التقليدى .

التقط (أورلوف) المفكرة والقلم ، وراح يكتب كل مالديه من معلومات عن (سيميولاتور) ، وتظاهر (أدهم) بالانشغال عنه ، حتى سمعه يقول :

- ها هى ذى .

استعاد (أدهم) القلم والمفكرة ، وألقى نظرة سريعة على ماكتبه (أورلوف) ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

- معذرة ياصديقى .. هذا يثبت أنك (أورلوف) الحقيقى .

ثم انتزع الورقة التى كتبها (أورلوف) من المفكرة ، وأعادها إليه ، قائلًا :

- هيا .. تخلص منها بمعرفتك .

تنهد (أورلوف) فى ارتياح ، وقال وهو يشعل النار فى الورقة :

- كيف أمكنكم الشك فى أمرى ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال فى هدوء ، وهو يعيد المفكرة إلى جيبه :

- الاحتياط واجب يارجل .. إلى اللقاء .. أتمنى لك نومًا هنيئًا .

وغادر منزل (أورلوف) فى بساطة ، وابتعد عنه قليلًا بسيارته ، ثم أوقفها على جانب الطريق ، وأخرج المفكرة

من جيبه ، وأشعل عودًا من الثقاب ، مرّره على الورقة التالية لورقة (أورلوف) فى رفق ، فتكوّنت فوقها كل الأرقام والبيانات ، التى كتبها (أورلوف) بخطه على الورقة الأولى ..

وابتسم (أدهم) فى ظفر وارتياح ، وهو يقول لنفسه :

ـ والآن .. إلى الهدف مباشرة .. إلى (سيميبولاتور) .

وانطلق بالسيارة فى هدوء ..

* * *

خيّم الصمت تمامًا على (حسام) و (قدرى) و (منى) ، عندما حلّقت بهم الطائرة ، مغادرة (تل أبيب) ، حتى قطعه (حسام) ، وهو يقول فى ضيق :

ـ كان المفروض أن أبقى إلى جواره .

تمتمت (منى) :

ـ (أدهم) يدرك ما ينبغى فعله .

وتنهّد (قدرى) ، مغمغمًا :

ـ وفقه الله .

ثم عاد الصمت يخيم عليهم مرة أخرى ، وكل منهم غارق فى أفكاره ، وإن لم يفارقهم القلق بعد ، مادام (أدهم) فى قلب أرض العدو ، حتى هذه اللحظة ، وقال (حسام) :

ـ هل سيعود إلى (القاهرة) مباشرة ؟

أجابته (منى) ، فى لهجة أشبه بالشرود :

ـ بل سيرحل أولًا إلى (كيواوا) المكسيكية ، لتصفية أعماله ، ثم يعود إلى (القاهرة) .

أما (قدرى) ، فقد أسبل جفنيه ، ولاذ بالصمت ، وحاول إقناع نفسه بالاستغراق فى نوم عميق ، وإن سمع (حسام) جيدًا ، وهو يقول :

ـ هناك أمر يحيرنى للغاية ، ولم أجد له جوابا حتى الآن .

سألته (منى) بنفس الشرود :

ـ ما هو ؟!

أجاب فى اهتمام :

ـ (سيميبولاتور) .. فالمفروض ألا ينسفه (أدهم) أو يحطمه .. والمفروض فى الوقت ذاته أن يلغى خطورته أو فاعليته ، فكيف يتأتى هذا وذاك ؟

صمتت لحظات ، فى محاولة للبحث عن الجواب ، إلى أن وجدت نفسها تقول فى حيرة :

ـ لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .

وهنا عاد الصمت يخيم عليهم للمرة الثالثة ، وإن امتلأت عقول ثلاثتهم بتساؤل واحد ..

كيف ؟..

* * *

اعتدل جنود الحراسة ، أمام مبنى صغير ، لحفظ الوثائق العسكرية القديمة ، عندما توقف (أدهم) بسيارته إلى جوارهم ، وهبط منها فى هيئة (موشى) ، وأشار إليهم ، قائلاً فى برود صارم :

ـ أفسحوا الطريق .

أفسحوا له الطريق دون مناقشة ، ودخل هو إلى المبنى الصغير فى خطوات ثابتة ، ثم اتجه إلى باب خشبى قديم فى نهايته ، وتوقف أمامه لحظة ، قبل أن يضغط زرًا خفيًا فى الجدار ..

وفى هدوء ، انزاح الباب الخشبى القديم جانبًا ، كاشفًا ممرًا قصيرا حديث الصنع ، يقود إلى مهبط يتسع لخمسة أشخاص ..

وفى ثقة وبساطة ، اتجه (أدهم) إلى المصعد ، وضغط أزراره ، وتركه يهبط به ثلاثة أدوار فى باطن الأرض ، حتى توقف أمام الهدف ..

أمام المقر السرى للكمبيوتر (سيميولاتور) ..

لقد دون (أورلوف) تفاصيل الأمن بمنتهى الدقة ..

وأمام المهبط مباشرة ، وجد (أدهم) ممرًا آخر قصيرا ، يقف فى نهايته جنديان بمدفعين آليين ، أديا التحية فى احترام ، فاتجه إليهما ، وهو يقول :

ـ هل وصل العقيد (أورلوف) ؟

أجابه أحدهما :

ـ ليس بعد ياسيدى .

مط شفتيه فى شىء من الاستياء ، ثم ألصق إبهامه بجهاز فحص البصمات الإليكترونى ..

ولثانية واحدة ، ظلّ الجهاز صامتًا ، ثم لم تلبث شاشته أن أعلنت اسم صاحب البصمات ..

(موشى حاييم دزرانيلى) ..

وهنا دس (أدهم) بطاقة (موشى) المغنطيسية فى التجويف المخصص لها ، فانفتحت أمامه على الفور أبواب المقر السرى ..

ودلف (أدهم) إلى الهدف ..

إلى (سيميولاتور) ..

وفى ثقة ، اتجه مباشرة إلى حجرة مكتب (أورلوف) ، وأغلقها خلفه فى إحكام ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وغمغم :

ـ الآن أنت فى قلب الهدف يا (أدهم) .. هيا .. نفذ خطتك جيدًا .

وأدار عينيه فى المكان لحظات ، ثم اتجه إلى ركن الحائط ، الذى أشار إليه (أورلوف) ، وراح يتحسسه بأصابعه الخبيرة فى دقة ، حتى عثر على الزر الخفى ،

ثم اتجه إلى ركن الحائط ، الذى أشار إليه (أورلوف) ، وراح يتحسسه بأصابعه الخبيرة فى دقة ، حتى عثر على الزر الخفى ..

وضغطه بسرعة ، لتتكشف أمامه شاشة (سيميولاتور) ، ولوحة الأزرار المركزية له ..

وفى هدوء ، جلس (أدهم) أمام لوحة الأزرار ، وأخرج من جيبه تلك الورقة ، التى خط عليها (أورلوف) ، دون أن يدرى ، كل أرقام الكود السرية للكمبيوتر الفائق ..

وراحت أصابع (أدهم) تجرى على أزرار الكمبيوتر فى خفة وسرعة ..

وطوال نصف ساعة كاملة ، لم يتوقف (أدهم) عن التعامل مع لوحة الأزرار الرئيسية لـ (سيميولاتور) ..

وأخيرًا ارتسمت على شفتيه ابتسامة ..

ابتسامة ظافرة ..

وفى هدوء ، أعاد كل شىء إلى ما كان عليه ، وغادر المبنى كله ، وخلع عن أطراف أصابعه تلك القطع المطاطية الرقيقة ، التى تحمل بصمات (موشى دزرائيلى) ، وانطلق بسيارته مبتعدًا ، وفى أعماقه تدوى ضحكة قوية ..

وساخرة ..



٩ - المحـــاكمـة ..

كان رئيس الجمهورية منهمكا فى مطالعته بعض التقارير ، التى وردت إليه من عدة جهات ، والتى تحتاج إلى مشورته أو توجيهاته . عندما سمع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

- رئيس الوزراء الإسرائيلى على الهاتف ياسيدى الرئيس .

التقى حاجبا الرئيس فى دهشة ، وتساءل وهو يلقى نظرة على ساعته ، عن السبب الذى يدعو رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى الاتصال به ، فى الثامنة صباحا ، ولكنه قال فى هدوء :

- حسن .. سأتلقى المكالمة .

والتقط سماعة الهاتف الخاص ، ليسمع صوت رئيس الوزراء الإسرائيلى ، وهو يقول :

- صباح الخير ياسيادة الرئيس .. معذرة لاتصالى فى هذه الساعة المبكرة ، ولكننى أعلم أن سيادتكم تستيقظ فى السادسة والنصف .. أرجو أن تكون قد انتهيت من رياضتك اليومية .

سأله الرئيس :

- ماذا وراء هذه المحادثة ياسيد (شيمون) ؟

أجابه رئيس الوزراء الإسرائيلى ، فى لهجة تحمل شيئاً من التشفى :

- ستتم محاكمة رجلكم بعد ساعتين ، وهناك جيش من الصحفيين ، يملأ قاعة المحاكمة منذ الفجر .

قال الرئيس فى هدوء :

- وهل يستحق هذا اتصالاً مبكرًا ؟

هتف رئيس الوزراء الإسرائيلى :

- ستكون قضية كبرى ، وفضيحة لـ (مصر) كلها ، ويمكننا أن نتفادى كل هذا باعتذار بسيط ، ترسله (مصر) إلى (إسرائيل) ، أو ...

قاطعه الرئيس فى صرامة :

- اقتراح مرفوض يا (شيمون) ، وأعتقد أنه لم يعد هناك معنى لاستمرار المحادثة .

هتف رئيس الوزراء الإسرائيلى :

- ولكن الفضيحة ، والـ...

قاطعه الرئيس مرة أخرى :

- افعلوا ما يحلو لكم يا (شيمون) ، ولاتضيعوا وقتنا الثمين .. إلى اللقاء .

وأنهى رئيس الجمهورية المحادثة ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يعيد مطالعة أحد التقارير الموضوعة أمامه ، مغمغما :

- ترى لمن ستكون الفضيحة يا (شيمون) ؟

وكان هذا التقرير الذى يطالعه عبارة عن رسالة شفرية ، وردت فجرًا من (تل أبيب) ، إلى إدارة المخابرات العامة المصرية ..

رسالة تحمل توقيع (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

جلس مدير المخابرات العامة المصرية خلف مكتبه ، يتطلع فى صمت صارم إلى (حسام) و (منى) ، اللذين وقفا أمامه صامتين ، وإلى (قدرى) الذى جلس يلهث فى انفعال ، ثم قال المدير فى صوت حازم صارم :

- تعرفون أنكم خالفتم القواعد .. أليس كذلك ؟

غمغم (حسام) :

- كنا نحتاج إلى التحرّك بسرعة .

ضرب المدير سطح مكتبه فى غضب ، وهو يهتف :

- هذا ليس عذرًا .. جميعكم يعلم أننا نستطيع التحرّك هنا بالسرعة المناسبة ، مهما كانت الظروف والملابسات .. إننا لانعانى تعقيدات الروتين ، مثل الجهات الحكومية الأخرى ، كان يمكنكم التقدم بطلب ، و ...

تمتم (قدرى) :

- ويمر الطلب بالإجراءات المعتادة ، ولو كنا حسنى الحظ ، فربما حان موعد سفرنا غدا .

التفت إليه المدير فى غضب ، وقال :

- هذا لم يحدث أبدا ، فى تاريخ الإدارة كلها .

ابتسم (قدرى) فى خجل ، وغمغم :

- أعلم هذا .. إنها دعابة فحسب .

هتف المدير :

- دعابة ؟!.. ليس هذا وقت الدعابات يا (قدرى) .

ثم التفت إلى (حسام) و (منى) ، مستطردًا :

- ولكننى سأخبركم أنا لماذا خالفتم الأوامر ، ولماذا سافرتم إلى (تل أبيب) ، دون الحصول على تصريح رسمى بهذا .

ومال إلى الأمام ، وهو يضيف فى صرامة :

- لقد خشيتم عدم موافقتى على سفركم .

أرادت (منى) أن تعترض ، ولكن (حسام) أجاب على نحو صريح للغاية .

- هذا صحيح .

التفتت إليه العيون كلها ، فتابع فى حزم :

- كنا نعلم أن وجودنا فى (إسرائيل) سيكون له بالغ الأثر ، فى رفع معنويات (أدهم صبرى) ، ومعاونته على الفرار من سجنه .. ولقد كنا على حق ، وسار كل شىء على مايرام .

كان (قدرى) و (منى) يتوقعان ثورة عارمة ، من مدير المخابرات ، إلا أنه ـ لدهشتهما ـ ظلّ صامتًا لحظات ، ثم قال فى هدوء عجيب :

ـ وماذا لو حدث العكس ؟

عقد (حسام) حاجبيه ، دون أن يجيب ، فتابع المدير فى حزم :

ـ ماذا لو أن سفركما إلى (تل أبيب) أقلقه ، وضاعف من مسئولياته ، وأربك خطته ، وأفسد كل شىء ؟

لم يحر أحدهم جوابًا ، فنهض المدير من خلف مكتبه ، مستطردًا :

ـ ما فعلتموه فى الواقع أمر عشوائى سخيف ، لم تتم دراسته من قِبل الخبراء والمختصين فى الإدارة ، قبل الشروع فى تنفيذه .. لقد تصرفتم على نحو عاطفى تمامًا ، خالٍ من الشعور بالمسئولية أو العقلانية .

غمغمت (منى) :

ـ لقد تحرّكنا من منطلق شعورنا بالمسئولية تجاه (أدهم) .

لوّح المدير بيده ، قائلًا :

ـ خطأ .. حتى فى هذا لم يكن لديكم شعور بالمسئولية تجاهه ، فالأمور هنا لاتسير هكذا .. إنها لعبة ضخمة ..

لعبة شطرنج مدروسة ، لايقوى عليها سوى المحترفين ، وفى لعبة الشطرنج هذه ، لابد للمحترف من دراسة كل الاحتمالات ، واستنتاج كل الخطوات التالية المحتملة لخصمه ، والخطوات المضادة لكل خطوة محتملة ، وردود أفعال هذه الخطوات المضادة ، والخطوات الوقائية من ردود الأفعال .. وهكذا .. إنه أمر شديد التعقيد ، يتعلّق بأمن الدولــة ، وسياساتهــا العليــا ، ومصالحهــا ، وارتباطاتها الرسمية وغير الرسمية بالدول الأخرى ، والحكومات الصديقة والعدوّة .. إنها فى الواقع أضخم وأخطر لعبة فى عالم اليوم .. ولهذه اللعبة خبراؤها .. خبير لكل خطوة ، ولكل فعل أو رد فعل .. خبراء تتنافس عليهم الدول ، وتحرص عليهم أجهزة الأمن والمخابرات .. وعندما نقع فى مشكلة ما ، مثل وقوع (أدهم) فى الأسر ، يتمّ عرض الأمر على هؤلاء الخبراء ، الذين يدرسونه من كل الجهات ، ثم يقترحون ما ينبغى فعله .. وهنا فقط يحين دوركم .. أما أن تتحرّكوا قبل هذه النقطة ، فهذا محظور .. محظور .. محظور . ثم اعتدل ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن لحسن حظكم وحظنا ، جاء قرار الخبراء مؤيدًا لموقفكم .

تهللت أساريرهم لحظة ، فاستدرك فى سرعة :
- وهذا لا يعنى أنكم على حق .
ثم لوّح بذراعه ، مستطردًا :
- إنها مصادفة لا أكثر .
غمغم (قدرى) :
- حسن .. هل سنتلقى العقاب الآن ؟
صمت مدير المخابرات ، وهو يتطلّع إليه ، ثم أجاب فى حزم :
- نعم .. سيتم تحويلكم إلى لجنة تحقيقات .
خفضت (منى) عينيها ، وعقد (حسام) حاجبيه فى ضيق ، فى حين تمتم (قدرى) :
- ياللهول !.. أهذا جزاء النجاح ؟
ابتسم المدير ، وقال :
- بل جزاء مخالفة الأوامر .. ولكن اطمئنوا .. سأوصى بكم اللجنة خيرًا ، فقد وصلتنا برقية شفرية من (أدهم) ، يعلن فيها نجاح مهمته الرئيسية .. لقد انتهت خطورة (سيميولاتور) ، بالنسبة إلينا على الأقل .
هتفت (منى) فى سعادة :
- كنت أعلم هذا !.. كنت أعلم هذا .
وترقرقت الدموع من عينى (قدرى) ، وهو يغمغم :

- فعلتها مرة أخرى يا (أدهم) .. فعلتها يا بطل .
أما (حسام) ، فسأل المدير فى شغف :
- ولكن كيف زال خطر (سيميولاتور) بالنسبة إلينا ، دون أن ينسفه (أدهم) أو يدمره ، أو يتلفه ؟.. كيف ؟
أشار المدير بسبّابته ، مجيبًا :
- هنا تكمن عبقرية (أدهم) .
ولم يجد (حسام) فى هذه العبارة جوابًا شافيًا ، بل بدت له أكثر غموضًا من الموقف نفسه ..
أكثر غموضًا بكثير ..

* * *

اكتظت قاعة المحاكمة فى (تل أبيب) بمئات الصحفيين ، من مختلف أنحاء العالم ، الذين احتشدوا لتسجيل أول محاكمة علنية لرجل من رجال المخابرات ، فى الصراع التاريخى بين (مصر) و (إسرائيل) ..
وكان المثير للدهشة ، فى الموقف بأكمله ، هو أن هذا لم يحدث قط ، خلال الصراع المصرى الإسرائيلى الطويل ، وها هو ذا يحدث الآن ، بعد اتفاقية السلام بين الدولتين ..
ومما أثار حيرة الصحفيين وتساؤلاتهم ، ذلك المظهر الذى بدا عليه رجل المخابرات ، داخل قفص الاتهام ..



ولكن صوته ضاع وسط الهرج والمرج ، وسيطر الضباب مرة أخرى على عقله ، فانهار ثانية على مقعده وأحاط به ذلك الدوار العنيف ..

كان فاقد الوعى تقريبًا ، يترنحُ بشدة ، ويقيم رأسه فى صعوبة ، حتى أنهم أجلسوه فوق مقعد كبير ، فبدا فوقه أشبه بالنائم ، مما جعل الأسئلة تنهال عليه فى لهفة :

- هل تعرّضت للتعذيب ؟!..
- هل انتزعت منك أية اعترافات بالقوة ؟..
- ما الذى فعلوه بك فى السجن ؟..
- هل حاولت الانتحار ؟..
- لماذا أرسلتك (مصر) إلى هنا ؟..
- ألك أى رمز كودى ؟..

وبصعوبة بالغـة ، أزاح رجال الحراسة جيش الصحفيين بعيدًا عن قفص الاتهام ، فسطعت مصابيح التصوير فى وجه (موشى) ، الذى اختفى خلف قناع (أدهم صبرى) ، وتمتم هو فى تهالك ، محاولاً استعادة وعيه وإدراكه :

- أين أنا ؟.. ما الذى يفعلونه بى ؟

ولكن صوته ضاع وسط الهرج والمرج ، وسيطر الضباب مرة أخرى على عقله ، فانهار ثانية على مقعده ، وأحاط به ذلك الدوار العنيف ..

وفى قاعة المحاكمة نفسها ، كان مدير (الموساد) يغلى غضبًا ، وهو ينظر إلى ساعته بين الحين والآخر ، قائلاً فى حدة :

- أين (موشى) ؟.. لماذا لم يصل حتى الآن ؟

أجابه أحد رجاله :

- إنه حتى لم يجر اتصالاً واحدًا ، منذ اتصال مساء أمس ، وأخشى أن ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله المدير فى عصبية :

- ما الذى تخشاه ؟

أجابه الرجل فى توتر :

- أخشى أن يكون قد أصابه مكروه .

التقى حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقول :

- أما أنا ، فأخشى ما هو أخطر من هذا ؟

سأله الرجل فى قلق :

- ما الذى تخشاه ياسيدى ؟

صمت المدير لحظات ، قبل أن يغمغم ، وكأنه يتحدث مع نفسه :

- تصرفات (موشى) عجيبة ، منذ مساء أمس .. وخصوصًا إفراجه عن ذلك العربى (زياد) ، فى أثناء هجوم المخربين العرب .. مازلت أتساءل حتى هذه اللحظة .. لماذا فعل هذا ؟

تمتم الرجل :

- ربما لديه أسبابه .

صمت المدير لحظة أخرى مفكرًا ، ثم لم يزد عن قوله :

- ربما .

ظهرت فى هذه اللحظة هيئة المحكمة ، فسطعت مصابيح التصوير مرة أخرى ، وساد الهرج لحظات ، ثم هدأ كل شىء ، وعبر (أدهم) القاعة متنكرًا فى هيئة (حسام) ، حتى جلس على مقعد الدفاع ، وبدأ القاضى جلسة المحاكمة ، ثم طلب من ممثل الادعاء بدء مرافعته ..

ونهض ممثل الادعاء ، وبدأ حديثه قائلاً :

- أيها السادة .. لسنا اليوم بصدد محاكمة عادية ، وإنما هى محاكمة فريدة ، قد تدين عصرًا بأكمله ، أو تلقى الضوء على اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية ، التى أهانها المصريون بتجاوزاتهم وأسلوبهم ، عندما أرسلوا أحد رجالهم للتجسس على شعب وحكومة وجيش (إسرائيل) ، والسعى لتدمير أحد أسلحتهم الاستراتيجية .. وليست هذه هى أول عملية تخريبية ، يقوم بها ذلك الرجل (أدهم صبرى) ، ضد شعب (إسرائيل) ، فملفه حافل بالأعمال الشريرة ، والأمور الرهيبة ، التى فعلها ضدكم ..

وفى استفاضة ، راح الرجل يحصى بعض القضايا ، التى قام بها (أدهم) ، ضد جهاز (الموساد) ، ويبالغ فى الخسائر التى كبدهم إياها ، حتى قاطعه (أدهم) فى سخرية :

- يا إلهى !.. أشكرك يارجل ، فأنت توضح لشعبك أن رجلًا واحدًا من المخابرات المصرية ، يمكنه هزيمة جهاز مخابراتكم كله أكثر من مرة .. أشكرك كثيرًا .

انطلقت عبارات ساخطة محنقة ، وترددت فى القاعة كلها ، فى حين هتف ممثل الادعاء فى صرامة :

- ولكن ماذا كانت نهايته ؟.. ها هو ذا أسير ذليل ، فى قفص الاتهام ، وسيدان بتهمة التجسس والتخريب ، فماذا نتوقع نهايته؟

اكتفى (أدهم) بابتسامة ساخرة ، وترك ممثل الادعاء يواصل مرافعته ، حتى انتهى منها ، وهنا قال القاضى :

- مرافعة الدفاع .

نهض (أدهم) ، قائلًا فى هدوء :

- (حسن عبد الرحمن) .. محامى مصرى .

ضجت القاعة بالسباب وصرخات الاحتجاج ، حتى أجبر القاضى الحاضرين على الصمت ، وقال :

- هيًا .. ابدأ مرافعتك .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

- الواقع أن مرافعة ممثل الادعاء استغرقت وقتًا طويلًا للغاية ، لذا فسأختصر مرافعتى إلى عبارة واحدة فحسب .

رفع القاضى والحاضرين حواجبهم فى دهشة ، فى حين أشار هو إلى قفص الاتهام ، وهو يقول فى حزم :

- هذا الرجل ليس مصريًا ، ولايُدعى (أدهم صبرى) .

عاد الهرج والمرج إلى القاعة بشدة ، وراح الصحفيون يمطرون (أدهم) بالأسئلة ، ويغمرون وجهه بأضواء مصابيح التصوير ، فى حين عقد مدير (الموساد) حاجبيه فى شدة ، وراح يحدق فى قفص الاتهام ، متمتمًا فى هلع :

- ياللشيطان !.. هل يمكن أن ..

أما القاضى ، فسأل (أدهم) :

- ما الذى تعنيه بالتخلى عن مواطنك هكذا ؟!

قال (أدهم) فى سخرية :

- مواطنى ؟!.. هذا الرجل مواطن إسرائيلى .. انزعوا القناع عن وجهه ، وسترون أننى على حق .

جحظت عينا مدير (الموساد) فى هلع ، ورأى الحارس ينزع القناع عن وجه (موشى) ، فشهق الجميع فى شدة ، واندفع جيش الصحفيين نحو القفص ، وراحوا يلتقطون

آلاف الصور لـ (موشى) ، الذى استعاد جزءًا يسيرًا من وعيه ، وراح يهتف :

- ماذا تفعلون ؟!.. أين أنا ؟

انهار مدير (الموساد) على مقعده ، وراح يردّد :

- مستحيل !.. مستحيل !

ووسط كل الهرج ، الذى ساد المكان ، تحرّك (أدهم) فى هدوء ، وغادر قاعة المحاكمة كلها ، واتجه إلى السيارة ذات الصندوق الكبير ، والتى انطلقت به مبتعدة ، فور صعوده إليها ، وبداخلها سأله (زياد) :

- هل فجّرت قنبلتك :

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- نعم .. وأراهنك أنهم سيفقدون عقولهم بالداخل .

ابتسم (زياد) فى ارتياح ، وتحسّس ضمادات أصابعه ، وهو يتمتم :

- إنهم يستحقون هذا .

ثم سأله :

- هل نتجه إلى المطار مباشرة ؟

أجاب (أدهم) :

- نعم .. لقد انتهت مهمتى هنا .

ثم أخرج من جيبه مظروفًا صغيرًا ، ناوله إياه ، وهو يقول :

- أرجو أن ترسل هذا إلى مدير (الموساد) شخصيًا ، فور إقلاع طائرتى .

غمغم (زياد) :

- سأفعل .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن أخبرنى .. ما الذى فعلته بـ (سيميولاتور) ؟

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

- أمر بسيط للغاية ياصديقى .. لقد أصبح لديه حساسية خاصة ، تجاه كل ما هو مصرى ، فكلما وردت إليه معلومات عن (مصر) ، أو كل ما يخصها ، سيقوم بخفض نسبة الخطأ فى حساباته من واحد فى كل مليونين ، إلى واحد فى كل خمسة ، وهذا وحده كفيل بإنهاء خطورته ، بالنسبة لنا على الأقل .. أليس كذلك ؟

هتف (زياد) :

- يالها من فكرة !.. والأروع أن أحدًا لن ينتبه إلى وجود هذا التعديل ، فتأتى توقعاتهم كلها بنسبة خطأ رهيبة .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

- كان هذا هو الحل الوحيد للمشكلة كلها .

ابتسم (زياد) ابتسامة واسعة ، وقال :

ـ كم يسعدنى العمل معك ياسيّد (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) :

ـ أنا أيضًا أسعدنى العمل معكم يا (زياد) .

تصافحا فى حرارة ، عندما توقّفت السيارة أمام المطار ، وقبل أن يغادرها (أدهم) سأله (زياد) :

ـ بالمناسبة ، ما الذى يحتوى عليه هذا المظروف ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ بطاقة صغيرة ياصديقى .. بطاقة تقول : « مع خالص تحياتى » ، وبأسفلها توقيع يحمل اسمى .. (أدهم صبرى) .

وتحوّلت ابتسامته إلى ضحكة .. ضحكة ساخرة .

* * *



١٠ ـ الختـــام ..

ارتفعت ضحكات الصغير فى مرح ، ومربيته تداعبه وتلهو معه ، فى حديقة قصر (سونيا جراهام) ، فى (نيويورك) ، ثم لم تلبث (سونيا) أن ظهرت ، وهى تتطلّع إليهما بنظرات متوتّرة ، جعلت المربية تتوقّف عن مداعبة الصغير ، وتنهض قائلة :

ـ مرحبًا يامسز (أرثر) .. إنه وقت اللعب ، لتنمية عضلات الصغير والترويح عنه ، و ...

قاطعتها (سونيا) فى صرامة :

ـ اتركينا وحدنا .

لم تجادلها المربية لحظة واحدة ، وإنما أسرعت تغادر المكان كله بخطوات سريعة ، وصمت الصغير لحظة فى حيرة ، ثم انفجر باكيًا لانصرافها ، فاتجهت إليه (سونيا) ، وحملته فى رفق ، وهى تقول :

ـ لاتبك ياصغيرى .. هأنذا .

ولكن الصغير ظل يبكى لحظات أخرى ، قبل أن يستكين بين ذراعيها ، فحملته إلى حيث مقعدها المفضّل ، أمام حوض السباحة ، وداعبت شعره الأسود الناعم ، وهى تقول :

- أرأيت ياصغيرى ؟!.. أرأيت ما فعله والدك بشعبى مرة أخرى ؟!.. لقد خدعهم جميعًا ، وجعلهم أضحوكة أمام صحافة ووسائل الإعلام العالمية .. لقد شاهدت ذلك على شاشة (التليفزيون) ، وسجّلت لك المشهد كله ، حتى تراه فى المستقبل .. لقد كان ينتحل شخصية ذلك المحامى .. لن أخطئ تعرّفه أبدًا .. أرأيت جرأة تفوق هذا ؟.. صدقنى ياصغيرى ، والدك أبرع رجل عرفته فى حياتى كلها .

ثم صمتت لحظات قبل أن تضيف فى غضب :

- ولكن هذا لن يمنعنى من قتله .

اضطرب الصغير بين ذراعيها ، وكأنه فهم ما تعنيه ، ولكنها تابعت فى مقت واضح :

- ربما لن تفهمنى أبدًا ، ولكننى أعلم أننى على حق .. خير لك أن تبكى والدك الراحل ، وأن تتغنى ببطولاته وبراعته ، من أن تبكى غيابه عنك ، وولعه بأخرى .. صدقنى ياصغيرى .. والدك يستحق القتل .. يستحقه بشدة .

صرخ الصغير ، وانفجر باكيًا ، فانتبهت فى هذه اللحظة فقط إلى أنها تعتصره بذراعيها فى قوة ، فأفلتته بسرعة ، وهتفت تنادى مربيته ، التى هرعت إليها ، فناولتها الصبى ، قائلة :

- هيا .. احمليه إلى حجرته .

لم تعترض المربية هذه المرة أيضًا ، على الرغم من أن فترة لهو الصغير لم تكن قد انتهت بعد ، ولم تكد تنصرف ، حتى حضر أحد الخدم إلى (سونيا) ، وقال :

- مستر (مايكل) فى انتظارك ياسيّدتى .

نهضت (سونيا) ، واتجهت إلى حجرة مكتبها ، وهناك نهض (مايكل) لاستقبالها فى احترام ، وهو يقول :

- لقد طلبت حضورى على الفور ياسيّدتى .

أشارت إليه بالجلوس ، بعد أن جلست خلف مكتبها الكبير ، وسألته فى صرامة وحزم :

- هل جيشك مستعد للقتال يا (مايكل) ؟

أجابها فى حماس :

- فى أية لحظة ياسيّدتى .

تراجعت فى مقعدها ، وبدت شديدة التوتّر والعصبية ، وهى تحاول إشعال سيجارتها ، حتى أنه نهض من مقعده ، ليشعلها لها بقداحته ، وهو يسألها فى قلق واضح :

- ماذا هناك ياسيّدتى ؟

أجابته (سونيا) :

- سأختبر جيشك فى مهمة بالغة الخطورة يا (مايكل) .

قال فى حذر :

ـ أظنهم مستعدون لذلك .

نفثت دخان سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ تظن أم أنك واثق من هذا ؟

ازدرد لعابه ، متمتمًا :

ـ أنا واثق بالطبع ياسيدتى .

بدت مضطربة بعض الوقت ، ثم اعتدلت قائلة فى حزم :

ـ سنستكمل عملية (كيواوا) .

سألها فى اهتمام :

ـ كيف ياسيدتى ؟

أجابته بسرعة :

ـ سنرسل جيشنا الصغير كله .. أو قل كتيبتنا الخاصة إلى هناك ، بكل عتادها وأسلحتها ، وستنحصر مهمتها فى أمر واحد .. القضاء على (أميجو صاندو) ، وتدميره تمامًا .

هتف فى دهشة :

ـ أترسل الكتيبة كلها ، من أجل رجل واحد ياسيدتى ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـ وأتعشم ألا نحتاج إلى المزيد .

حدق فى وجهها بذهول ، ولكنها بدت شاردة بعض الوقت ، قبل أن تنفث دخان سيجارتها مرة أخرى ، وتتمتم :

ـ المهم أن تكون هذه هى معركته الأخيرة ، وألا نمنحه فرصة واحدة للفرار من مصيره هذه المرة .

والتفتت إلى (مايكل) ، مستطردة فى شراسة أرجفته ، وهى تضرب سطح مكتبها بقبضتها :

ـ هل سمعت ؟.. لن نمنحه فرصة واحدة .

نطقت عبارتها هذه ، فى نفس اللحظة التى كانت طائرة (أدهم) تتخذ فيها طريقها إلى (المكسيك) ، حيث تنتظره أكثر من مفاجأة ..

الدمار التام ، الذى أصاب مزرعته فى (كيواوا) ..

والكتيبة التى تنتظره هناك ..

كتيبة (سونيا جراهام) ..

كتيبة الدمار .

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف

د. نبيل فاروق

أرض العدو

- ما مصير (أدهم صبرى)، بعد أن وقع في قبضة الإسرائيليين ؟!
- لماذا سافر (قدرى) و(حسام) و(منى) فجأة، إلى (تل أبيب) ؟!
- تُرى هل ينجو (أدهم صبرى) هذه المرة، أم تأتى نهاية (رجل المستحيل) في (أرض العدو) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل)..

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٩٣



الثمن في مصر ١٠٠ قرش وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : كتيبة الدمار